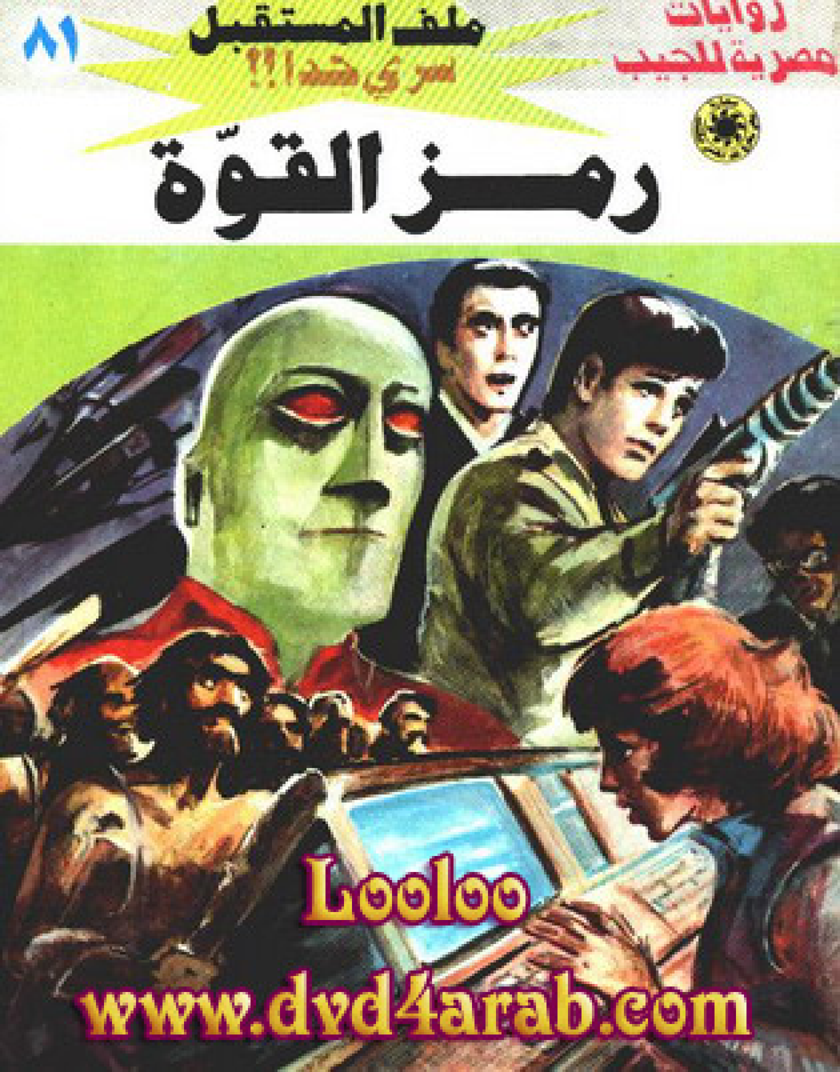

٨١
ملف المستقبل
مصري جداً!!؟
روايات
مصرية للجيب
رمز القوّة
Looloo
www.dvd4arab.com



١ ــ الحلم ..

انتشر الضباب كثيفًا ، يغمر كل شيء ، ويحجب الرؤية عن كل العيون ، وسط فراغ قاتم لا نهائى ، يسبح فى صمت مطبق ، ورهبة مخيفة ..

فراغ تام ، بلا أرض أو سماء ، أو جدران ..

ومن بعيد ، أتى ذلك الصوت الخافت ، غير المميَّز ، ثم راح يتصاعد فى بطء مثير ، حتى اتضحت حروفه قليلًا ..

.. كان هتافًا ، ينادى بكلمة واحدة :

ــ أمى .. أمى ..

وخفق قلب (سلوى) ، وهى تبذل أقصى جهدها ؛ لاختراق الضباب الكثيف ببصرها ، وتهتف فى لوعة :

ــ (نشوى) .. ابنتى .. أين أنت ؟.. أين ذهبت ؟

تكاثف الضباب أمامها فى بطء ، مكوِّنًا صورة غامضة ، لم تلبث أن اتضحت رويدًا رويدًا ، لتتخذ شكل (نشوى) ، وهى تمد يديها إلى أمها ، وتقول مبتسمة :

ــ أنا هنا يا أمى .. لا تقلقى .

هتفت بها (سلوى) فى لهفة:

ـ (نشوى).. أأنت بخير يا بنيتى؟

أجابتها (نشوى):

ـ نعم يا أمى.. إننى فى خير حال، وأنتظر قدومكما.. أنت وأبى.. أنتظركما يا أمى.

انحدرت الدموع من عينى (سلوى) ساخنة، وهى تقول:

ـ عودى يا (نشوى).. عودى إلينا يا بنيتى.

بدا الأسف على وجه (نشوى)، وهى تقول:

ـ لا يمكننى هذا يا أماه.. لقد حاولت، ولكننى فشلت.. أخبرى والدى أن يحاول.. وأن يستعين بـ(محمود).. خبرتك أيضًا ستساعدنى على العودة يا أمى..

بدأ وجه (نشوى) يتلاشى، ويمتزج مرة أخرى بالضباب الكثيف، و(سلوى) تصيح بها:

ـ كيف يا (نشوى)؟.. كيف يمكننا مساعدتك على العودة؟

تلاشى وجه (نشوى)، وخفت صوتها كثيرًا، حتى صار أقرب إلى الهمس، وهى تقول:

ـ حاولوا يا أمى.. حاولوا..

مدت (سلوى) يدها، تحاول منع ابنتها من الانصراف، وهى تصرخ:

ـ لا تذهبى يا (نشوى).. لا تذهبى..

راحت تكرّر صراخها بصفة منتظمة، حتى شعرت بذراعين تحيطان بها فى حنان، وسمعت صوت زوجها (نور)، يقول فى عطف مشفق:

ـ انتهى كل شىء يا حبيبتى.. إنه مجرّد حلم.. حلم..

انتفض جسدها كله، عندما فتحت عينيها، لتجد نفسها بين ذراعى زوجها، على فراشهما، فى تلك الحجرة التى اتخذاها، فى مقرهما الجديد، وتفجّرت الدموع من عينيها غزيرة، وهى تغوص فى صدره، هاتفة:

ـ لقد رأيتها يا (نور).. رأيت ابنتنا (نشوى).

تنهّد فى مرارة، وهو يربّت عليها فى حنان، مكرّرًا:

ـ إنه مجرّد حلم يا حبيبتى.. مجرّد حلم.

كان يشعر بحزن هائل فى أعماقه، وهو يستعيد مع كلماتها ذكرى مصرع ابنتهما الوحيدة (نشوى)، فى آخر أيام الاحتلال، مضحية بحياتها فى سبيل انتصار أهل الأرض، على غزاتهم الفضائيين (*)..

إنه لن ينسى هذا المشهد أبدًا..

(*) راجع قصة (النصر).. المغامرة رقم (٨٠).

مشهد مصرع ابنته ..

لقد شاهد مصرعها بعينيه ..

وكذلك شاهدته زوجته (سلوى) ..

وكان هذا رهيبًا ..

وفى حنان، ضمَّ زوجته أكثر إلى صدره، وشعر بدموعها الساخنة تبلّل منامته، وهى تقول:

ـ إنه ليس مجرّد حلم يا (نور) .. إنها تنادينا .. تستنجد بنا.

لم يدر ماذا يقول ..

كان يعلم أنه مجرّد أمل زائف، تتشبّث به (سلوى)؛ لأن عقلها الباطن لم يتقبّل بعد فكرة مصرع ابنتها الوحيدة، على الرغم من مرور ثلاثة أشهر على هذا الحادث البشع ..

ولكنه لم يشأ تحطيم هذا الأمل فى أعماقها ..

ولا يرغب فى أن يفعل أبدًا ..

وفى حزن، تمتم:

ـ وماذا يمكننا أن نفعل لها يا (سلوى)؟.. إنها لم تعد تنتمى إلى عالمنا، والله (سبحانه وتعالى)، أرحم بها منا.

تضاعف انهمار دموعها، وهى تقول:

ـ أتعنى أنها قد ذهبت إلى الأبد؟

شرد ببصره، وهو يضمّها إليه فى حنان، مجيبًا فى حزن:

ـ إنها لم تذهب وحدها يا (سلوى) .. لقد كانت حربًا عظمى، فى سبيل حرية كوكبنا كله، ولقد ذهب الكثيرون، فى حربنا هذه .. أبى، وأمى، و (نشوى)، والقائد الأعلى، ونائبه، والدكتور (عبدالله)، والدكتور (عبدالمنعم)، و (بودون)، و (فارس)، وآلاف غيرهم .. ولكن كلًّا منهم دفع بحياته ثمن قطرة من قطرات الحرية .. إنه الثمن يا (سلوى) .. كل نصر له ثمن.

بكت فى مرارة، وهى تقول:

ـ كم تمنيت لو بقيت هى، وذهبت أنا.

قال فى أسى:

ـ لسنا نملك تقرير هذا .. إنه أمر يخصّ الخالق وحده (عزّ وجلّ).

ابتعدت عن صدره، وتطلّعت إليه بعينين اغرورقتا بالدمع، وهى تقول:

ـ ولكننا لم نحقق نصرًا حقيقيًا يا (نور) .. صحيح أننا طردنا الغزاة، واستعدنا حريتنا، ولكن قنبلة (جاما)، التى

أطلقها ذلك الشيطان اللعين ، قبيل مصرعه ، محت كل حضارة الأرض من عقول سكانها .. هل ترى ما بلغوه يا (نور) ؟ .. لقد عادوا عشرات القرون إلى الخلف .. صاروا أشبه بسكان العصور القديمة ، يقاتلون ويتشاحنون ، ويسحق بعضهم بعضًا ، في سبيل حفنة من القمح ، أو قليل من الثمار (*) ..

استعاد حزمه ، وهو يقول :

— ولكن القدر انتخب فريقنا ، والفريق الطبي ، من بين الجميع ، لنحتفظ بعقولنا وحضارتنا يا (سلوى) ، ونحن نملك مكعبات الكمبيوتر ، التي منحنى إياها قائدنا الأعلى (رحمه الله) ، قبل مصرعه ، وهي تحوى كل علوم وفنون الأرض ،(**) ولقد أصبحت الأمل الأخير ، في أن تستعيد الأرض حضارتها الزائلة .. إنها مهمتنا يا (سلوى) ، ولا ينبغي أن يهدأ لنا بال ، حتى نمحو أثر قنبلة (جاما) اللعينة هذه من عقول الجميع .

زفرت في يأس ، وهي تقول :

— أتظننا نستطيع هذا حقًا ؟

أجابها في أمل :

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

(**) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

— ولِمَ لا ؟ .. إننا فريق علمي ، ويمكننا أن نحاول على الأقل .. ولقد تعافى (محمود) تمامًا ، وهو يدرس هذه المشكلة منذ شهرين كاملين ، كخبير في الأشعة ، وأنا واثق بأنه سيجد الحل حتمًا بإذن الله .

قالت في ضيق :

— ولكننا مازلنا نحيا داخل مقرّ سرّى .

أجابها في حنان :

— هذا لأننا نبتعد عن العالم الهمجي ، الذي تركته قنبلة (جاما) في الخارج يا عزيزتي ، حتى نعثر على العلاج ، الذي يعيد إليه حضارته .

أطلقت زفرة حارة ، من أعماق قلبها ، وقالت :

— كم أتمنى لو كنت على حق يا (نور) .

حاول أن يبتسم ، وهو يقول :

— من يدرى يا عزيزتي ؟ .. ربما كنت كذلك ..

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز متصل خافت من ساعته ، الموضوعة إلى جوار فراشه ، فالتقطها بحركة سريعة ، وهو يقول :

— يا إلهي ! .. هذا يذكرني بالأيام الخوالي .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تستعيد ذكرى تلك الأيام ، التى كان القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، يستدعى فيها (نور) ، بوسائل تكنولوجية مختلفة ، وتطلّعت إلى زوجها ، الذى ضغط زرًا خفيًا فى جانب ساعته ، وهو يدنيها من فمه ، قائلًا :

ـ هنا (نور) .. من المتحدّث؟

سمعت معه صوت (محمود) ، وهو يقول فى انفعال واضح :

ـ إنه أنا يا (نور) .. اغفر لى إيقاظك فى هذا الوقت المتأخر ، ولكن هل يمكنك الحضور مع (سلوى) إلى حجرة الاتصالات ؟

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ماذا حدث هناك ؟

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (محمود) بنفس الانفعال :

ـ لست أدرى فى الواقع يا (نور) .. هذا يحتاج إلى (سلوى) .

لم يضع (نور) الوقت فى مجادلته ، وإنما قال بسرعة :

ـ سنصل بعد لحظات .

سألته (سلوى) فى اهتمام ، وهى تسرع لارتداء ثيابها :

ـ ترى ما الذى يثير انفعاله إلى هذا الحد ؟

أجابها وهو يرتدى ثيابه فى سرعة :

ـ إنه أمر يتعلّق بالاتصالات حتمًا ، مادام يطلب تواجدك .

أسرعا إلى حجرة الاتصالات ، حيث استقبلهما (محمود) ، الذى كان يجلس فيها وحده ، وسط أجهزة الكمبيوتر وشاشات الرصد المختلفة ، ولقد بدا مرتبكًا ، وهو يقول :

ـ أظنه أمر يخصك يا (سلوى) .

قالت فى اهتمام بالغ :

ـ حسنًا .. ما هو ؟

أشار إلى شاشة جهاز اتصال متطوّر ، وهو يقول :

ـ هل تعلمين ما هذا ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تتطلّع فى اهتمام إلى عدد من الدوائر المنتظمة ، يظهر ويختفى على الشاشة فى إيقاع رتيب ، ونسق واحد ، يتكرّر باستمرار ، وقالت :

ـ إنه يبدو لى أشبه بإشارة منتظمة .
قال (نور) فى دهشة :
ـ إشارة منتظمة ؟!.. ولكن من أين تأتى ؟.. إننا ـ حسبما أعلم ـ آخر من يحتفظون بحضارتهم ، على سطح الأرض .
جلست أمام الشاشة فى اهتمام ، وهى تقول :
ـ ربما كانت معلوماتك خاطئة ، فى هذا الشأن .
راحت أصابعها تنتقل فى سرعة ، من زر إلى آخر ، فى لوحة جهاز الاتصال ، وهى تتابع الدوائر ، التى مازالت تتبع نفس النسق الهادئ المنتظم ، ثم قالت :
ـ إنها إشارة منتظمة بالفعل ، تبثّ إلينا من نقطة ما على الساحل الشمالى .
ضغطت زرًا جانبيًا فى حركة سريعة ، فارتسمت على شاشة الجهاز خريطة واضحة لـ (مصر) ، وتألقت نقطة مضيئة عند ساحلها الشمالى ، فتابعت (سلوى) فى اهتمام :
ـ من (الإسكندرية) بالتحديد .
اختلج قلب (نور) فى حماس ، وهو يقول :
ـ هل يمكنك الرّد على هذه الإشارة ؟
هزّت كتفيها ، وهى تقول :

ـ بالطبع .. إنه أمر بالغ البساطة .
ضغطت أصابعها الأزرار فى سرعة مرة أخرى ، ثم اعتدلت قائلة :
ـ سنعيد نفس الإشارة إلى مصدرها .
مضت لحظات صامتة ، استمرّ فيها ظهور الدوائر على نفس النسق ، ثم اختفت كل الدوائر بغتة ، فقال (محمود) فى قلق :
ـ ماذا حدث ؟
أجابته (سلوى) فى اهتمام :
ـ لقد توقّف البث .
وفجأة ارتفع صوت ، عبر جهاز الاتصال ، يهتف :
ـ أخيرًا .
التقت عيون (نور) و (سلوى) و (نشوى) فى لهفة ، فى حين تابع الصوت فى حماس مشوب بالارتياح :
ـ إذن فهناك مخلوقات عاقلة أخرى ، على سطح الأرض .. أجيبونى بالله عليكم .. هل أنتم كذلك ؟..
وكان صوته أشبه بحلم ..
حلم يتحقّق .

* * *

٢ ــ الهمج ..

شقّت زفرة عميقة، انطلقت من صدر (رمزى)، سكون الليل وهدوءه، وترددت بين النجوم اللانهائية، التى تتلألأ فى السماء، كقطع من الماس، على سطح من المخمل الأسود، تسبح فيها عينا (رمزى)، وذهنه يستعيد ذكريات قريبة ..

وقلبه يبكى ..

نعم .. كان قلبه يبكى بدموع من دم، وهو يسترجع ذلك المشهد، الذى لم يغب عن عقله لحظة واحدة، منذ ثلاثة أشهر كاملة ..

مشهد (نشوى)، وهى تهاجم قرص الطاقة الرهيب، الذى يحصد آلاف البشر، وتعطبه بمركبة (بودون)، ثم تمتص طاقته كلها، و ...

وحدث الانفجار ..

إنه لم يكن حتى انفجارًا بالمعنى المفهوم، بل كان ظاهرة فريدة عجيبة، لا مثيل لها، فى كل كتب الطاقة والعلوم ..

لقد تألقت المركبة والقرص كألف شمس، وانطلقت منهما مئات الخيوط الإشعاعية، من كل الألوان، قبل أن يتلاشى كل شىء دفعة واحدة ..

وذهبت (نشوى) ..

ذهبت إلى الأبد ..

«أمازلت تستعيد ذلك المشهد؟ ..»

تسللت تلك العبارة إلى أذنيه، حاملة لهجة حانية، تمتزج بشىء من الغيرة والضيق، فالتفت إلى صاحبتها فى بطء، وقال:

ــ (مشيرة)؟!.. ماذا تفعلين هنا؟.. ألم يؤكد (نور) ضرورة عدم مغادرتنا ذلك المخبأ السرى، دون أوامر سابقة؟

وضعت يدها على كتفه فى حنان، وهى تقول:

ــ وعلى الرغم من ذلك، فقد خالفت أنت هذه الأوامر، وخرجت تتطلع إلى النجوم، وتستعيد ذكراها.

أشاح بوجهه عنها، وكأنما يحاول إخفاء مشاعره، وهو يغمغم:

ــ لن أنساها بسهولة.

قالت فى ضيق:

ــ ولا أنا .. ما من أحد سينسى أنها ضحت بحياتها من أجل

الجميع .. من أجل الحرية والنصر ، ولكن هذا لا يعنى أن تتحوَّل فى أعماقنا إلى وثن ، نسجد له ليلًا ونهارًا .. لقد ماتت (نشوى) يا (رمزى) ، ومن الضرورى أن تتقبَّل هذه الفكرة .

خفض عينين مغرورقتين بالدموع ، وهو يقول :

— إننى أحاول .. ولكن ..

هتفت فى مرارة :

— ولكن ماذا ؟.. إنك لا تحاول كما تتصوَّر يا (رمزى) .. بل على العكس .. إنك تصرّ على الاحتفاظ بذكراها ، وأنا أبذل أقصى جهدى ، لانتزاعك من آلامك دون جدوى ، ولقد سئمت هذا .. لم أعد أحتمل .. لن أصارع امرأة ميتة يا (رمزى) .. هل تفهم ؟.. لن أقضى عمرى لأثبت لك أننى أحبك ، وأننى لم أنس أبدًا تلك الأيام ، التى كنا فيها زوجين ، وأتمنى أن نعود إليها .. لن أسعى إليك بعد هذه اللحظة ، ما دمت تصرّ على العيش فى ذكراها إلى الأبد .

شعر بالشفقة تجاهها ، فربَّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

— يبدو أننى أرهقت أعصابك كثيرًا .

استكانت له ، وهى تقول :

— أكثر مما تتصوَّر .

تنهَّد ، قائلًا :

— اعذرينى يا (مشيرة) .. الموقف كله يفوق احتمالى .. بل يفوق احتمالنا جميعًا .. لقد قاتلنا المحتلّين طويلًا ، وبذلنا الأرواح والدماء فى سبيل حريتنا ، وفقدنا أحبّ الناس إلينا ، ثم ماذا كانت النتيجة ؟.. لقد رحل المحتلّون ، وتحرَّرت الأرض ، ولكن بشعب همجى متخلّف ، لم يعد ينتمى إلى أية حضارة سابقة أو حالية .. أنسيت لماذا نعتبر مغادرة المخبأ السرّى أمرًا محفوفًا بالمخاطر ؟.. لقد أصبحنا نواجه عالمًا يختلف كثيرًا عن ذلك الذى كنا نواجهه ، قبل الاحتلال .. عالم همجى ، بربرى ، صارت فيه القوة البدنية وحدها هى رمز التفوّق .. عالم نبذل أقصى جهدنا ؛ لنعيد إليه حضارته وفكره .

سألته فى خفوت :

— وهل تظن ذلك ممكنًا ؟

أجابها فى حسم :

— ولِمَ لا ؟.. لقد امّحت العقول بقنبلة من قنابل (جاما) ، ويمكننا أن نعود بأشعة أخرى .. ما المانع ؟

كان يتطلّع إليها وهو يحدّثها ، وأدهشه ذلك الاتساع



كان يتطلع إليها وهو يحدثها ، وأدهشه ذلك الاتساع المفاجئ في عينيها ، وتراجعها بتلك الحدة والذعر ..

المفاجئ في عينيها ، وتراجعها بتلك الحدة والذعر ، فالتفت في سرعة إلى حيث تنظر ، وانطلقت من أعماقه شهقة قوية ، امتزجت بصرخة بدائية وحشية لرجلين من العالم البدائي ، بديا أشبه باثنين من رجال الكهوف القدامى ، وهم ينقضون عليه بهراوتين ضخمتين ..

وصرخ (رمزى) :

ـ ابتعدى يا (مشيرة) .

ولكنها أطلقت صرخة رعب هائلة ، عندما رأت هراوة ضخمة تهوى بكل قوتها على رأسه ..

على رأس (رمزى) ..

* * *

لم يكد ذلك الصوت يتردد ، عبر جهاز الاتصال ، في قلب مقر القيادة السرى ، حتى هتف (محمود) في لهفة :

ـ رباه !.. إذن فهناك شخص عاقل آخر ، في هذا الكوكب .

ثم ضغط جهاز الاتصال في سرعة ، قائلاً :

ـ أفصح عن نفسك يا رجل .. هنا مقر القيادة .. عرّف نفسك .

أتاه صوت الرجل مفعمًا بالدهشة ، وهو يهتف :

ـــ مقر القيادة ؟!.. ماذا تعنى بهذا القول ؟.. أما زالت هناك قيادة ما ، بعد كل ما أصاب كوكبنا ؟

التقط (نور) جهاز الاتصال ، وقال :

ـــ بالتأكيد يا رجل .. ما زالت هناك قيادة ، تبذل أقصى جهدها ؛ لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه .

هتف الصوت فى سعادة :

ـــ رائع .. هذا أعظم مما تصوَّرت بكثير .. لقد كان أقصى ما أتمناه هو مخلوق واحد ، ما يزال محتفظاً بعقله .

سأله (محمود) :

ـــ ولكن من أنت ؟ وكيف نجوت من تأثير قنبلة (جاما) ؟

قال صاحب الصوت فى اهتمام :

ـــ إذن فقد كانت قنبلة (جاما) !.. كان ينبغى أن أتوقَّع ذلك ، فتلك الموجات السخيفة وحدها ، يمكنها أن تفعل هذا بالعقول .

ثم زفر فى أسف ، قبل أن يستطرد :

ـــ على أية حال .. إننى الدكتور (رشاد خيرى) .

اتسعت عينا (محمود) ، وهو يهتف :

ـــ الدكتور (رشاد خيرى) ؟!.. يا إلهى !.. إنها معجزة بحق .. أتعنى أنك حقًا الدكتور (رشاد خيرى) .. رئيس قسم علوم الأشعة الحديثة ، بجامعة (القاهرة) .

أجابه الدكتور (رشاد) فى أسف :

ـــ سابقًا يا ولدى .. سابقًا .. كان كل ذلك فى الماضى .. الآن لم تعد هناك جامعة .. بل لم تعد هناك (قاهرة) ، ولا علوم .

قال (نور) فى حزم :

ـــ سيعود كل شىء إلى ما كان يا دكتور (رشاد) ، بإذن الله العلىّ القدير .

أجابه الدكتور (رشاد) :

ـــ كم أتمنى لو أن قدرتنا على إعادته تبلغ ربع حماسك هذا أيها الشاب .

سأله (محمود) فى لهفة :

ـــ ولكن كيف نجوت من قنبلة (جاما) يا سيِّدى ؟

تنهَّد الرجل ، وقال :

ـــ إنها قصة عجيبة يا ولدى .. إننى لم أستسلم أبدًا لمحاولات الغزاة ، فى تدمير كل علومنا وحضارتنا ، واحتفظت بكل كتبى ومراجعى داخل حجرة ذات جدران من

الرصاص، كنت أجرى فيها أحيانًا بعض تجارب الأشعة، وفى ذلك اليوم، الذى انفجرت فيه القنبلة، فى سماء الأرض، كنت داخل حجرتى الرصاصية، أراجع بعض كتبى، وأنت تعلم أن الأشعة لا تخترق مادة الرصاص.(*)

هتف (محمود):

— هذا من حسن حظ كوكب الأرض كله يا سيّدى، فأنت أحد الأشخاص القلائل، الذين يمكنهم إيجاد حلّ، ومخرج من هذه الأزمة.. إننا نحتاج إلى عكس تأثير أشعة (جاما) فى العقول.

تردّد الدكتور (رشاد) لحظات، ثم قال:

— كنت أتمنى معاونتك يا ولدى، ولكن..

سأله (نور) فى قلق:

— ولكن ماذا؟

صمت الدكتور (رشاد) لحظة أخرى، ثم قال:

— لست أدرى كيف أشرح لك الأمر يا ولدى، ولكن الأمور لم تعد حقًا كما كانت.. لقد صرنا أكثر همجية مما تتصوّر.. إننى سجين فى منزلى يا ولدى.

(*) حقيقة علمية.

— هتفت (سلوى) فى دهشة:

— سجين؟!

أجابها فى أسى واضح:

— نعم يا بنيتى.. سجين.. لقد انقلب الجميع إلى وحوش، يقتل بعضهم بعضًا لأتفه سبب، دون وازع من عقل أو ضمير.. وهناك نقص بشع فى موارد الغذاء والطاقة.. لقد التهموا كل ما يمكن التهامه، من طيور وحيوانات.. حتى القطط والكلاب، وأصبح من المحتم أن يبحثوا عن مورد آخر للغذاء.

أدرك (نور) المعنى على الفور، فاتسعت عيناه فى هلع، فى حين سألت (سلوى) فى دهشة:

— وما ذلك المورد الآخر؟

هوى الجواب على أذنيها كصاعقة، زلزلت كيانها كله، عندما أجابها بصوت مرتجف:

— البشر.

وتفجّر الرعب فى أعماقها.

* * *

٣ ــ القرار ..

رأى (رمزى) الهراوة الضخمة تهوى على رأسه، وأدرك أنها ستحطم جمجمته تمامًا، لو أنها أصابت هدفها، ودفعته غريزة البقاء إلى تفاديها بحركة سريعة، فقفز جانبًا، ورأى الهراوة تضرب الهواء، فى نفس الموضع الذى كان يحتله رأسه منذ لحظة واحدة، وسمع صاحبها يطلق زمجرة غاضبة، أقرب إلى زمجرة حيوان مفترس، ورأى (مشيرة) تتراجع فى رعب، وتلتصق بجدار المبنى المتهدِّم الصغير، الذى يخفى مدخل المقر السرى، والهمجى الثانى يقترب منها ملوِّحًا بهراوته، فأسرع ينتزع مسدسه الليزرى، وهو يهتف:

ــ قف يا رجل .. قف وإلا أطلقت الأشعة عليك.

لم يبد أن ذلك الهمجى قد فهم حرفًا واحدًا، مما تفوَّه به (رمزى) .. بل لم يبد حتى أنه قد أدرك طبيعة السلاح المصوَّب إليه، فقد واصل اقترابه من (مشيرة)، وهو يطلق زمجرته الحيوانية المخيفة، فى حين اعتدل رفيقه، واستعاد توازنه، الذى

أفقدته إياه ضربته الخائبة، ورفع هراوته بدوره، وعاد يتجه إلى (رمزى) ..

وارتبك (رمزى) بالفعل ..

كان عليه أن يصد هجوم رجل، ويقى (مشيرة) شر الآخر ..

وبسرعة ..

ورأى الرجل الثانى يرفع هراوته، ليهوى بها على رأس (مشيرة)، وسمعها تطلق حشرجة رعب حبيسة، وقد استحال وجهها إلى شىء أشبه بوجوه الموتى الشاحبة، واتسعت عيناها فى ذعر هائل، والرجل الآخر يتجه نحوه، و ...

ولم يكن هناك مفر ..

كان من المحتم أن يلجأ إلى وسيلة يبغضها ..

إلى القتل ..

وفى حركة سريعة، أدار (رمزى) فوهة مسدسه الليزرى نحو الهمجى، الذى يهاجم (مشيرة)، وأطلق أشعة الليزر على جمجمته ..

وانطلق خيط الأشعة الأزرق يشق الظلام والسكون، ليخترق جمجمة الهمجى، ويعبرها إلى الفراغ ..

وأطلق الهمجى خوارًا عجيبًا ..

ثم هوى جثة هامدة، عند قدمى (مشيرة) ..

وهنا تراجع الآخر فى دهشة ..

هنا فقط أدرك طبيعة ذلك الشىء، الذى يمسك به (رمزى) ..

لم يدرك بالطبع أنه مسدس ليزرى، وإنما أدرك أنه سلاح .. وسلاح قاتل ..

وفى توتر أكثر، وحذر أكثر، أمسك الهمجى الآخر هراوته بقبضتيه، وهو يزمجر فى وجه (رمزى)، الذى صوّب إليه سلاحه، قائلًا فى عصبية:

ـ لا تجبرنى على أن أفعل بك المثل.

لم يبد أن الرجل يفهمه، وهو يحدّق فيه بعينين أشبه بعينى نمر مفترس، فى حين ظلّت (مشيرة) ملتصقة بالجدار، تتطلّع إلى ما يحدث فى رعب، وجثة الهمجى الآخر تفترش الأرض تحت قدميها ..

وفجأة أطلق الهمجى زمجرة مخيفة، وهوى بهراوته على مسدس (رمزى) ..

وأصابت الضربة هدفها فى مهارة ..

وسقط مسدس الليزر بعيدًا ..

وفقد (رمزى) سلاحه ..

وانطلقت صرخة الهمجى ترجّ المكان، ممتزجة بصرخة (مشيرة)، وهو ينقضّ بهراوته على (رمزى) مرة أخرى ..

وبلا رحمة ..

* * *

لم يكد الدكتور (رشاد) ينطق كلمته الأخيرة، حتى انعقد حاجبا (نور) فى شدة، واتسعت عينا (محمود) عن آخرهما، فى حين هتفت (سلوى) فى ذعر:

ـ البشر ؟!..

ثم ارتجف صوتها، وهى تستطرد:

ـ دكتور (رشاد) .. أتمنى من كل قلبى، ألا يكون المعنى الذى تقصده، هو نفس المعنى، الذى أرتجف له رعبًا الآن.

تنهّد الرجل، وهو يقول فى مرارة:

ـ إنه هو يا سيّدتى .. للأسف .. فى المنطقة المحيطة بمنزلى، تحوّل هؤلاء الهمج إلى أكلة لحوم بشر.

تراجعت صائحة:

ـ يا إلهى!

أمسك (نور) كفها، وضغطها فى رفق، فى محاولة لتهدئتها، وهو يسأل الدكتور (رشاد):

ــ كم لديك من المؤن يا سيّدى؟

أجابه الرجل على الفور:

ــ ما يكفى ليومين آخرين يا فتى، مع صيام عنيف.

سأله (نور) فى اهتمام:

ــ أرشدنا إذن إلى عنوانك، وسنحاول إنقاذك من كل هذا.

هتفت (سلوى) فى خفوت:

ــ (نور).. هل ستواجه آكلى لحوم البشر هؤلاء؟

ابتسم فى وجهها بهدوء، وقال:

ــ عزيزتى، يبدو أنك قد نسيت أننا نمتلك أقوى سلاح فى الكون.

واتسعت ابتسامته، وهو يضيف فى ثقة:

ــ (س ١٨).

* * *

فى هذه المرة لم يكن هناك أمل فى النجاة..

لقد فقد (رمزى) السلاح الوحيد، الذى يمكنه أن يعتمد عليه، فى مواجهة هؤلاء الهمج.. ضحايا قنبلة (جاما)..

وها هو ذا أحدهم ينقضّ عليه كالوحش، ويهوى على رأسه بهراوة ثقيلة، تكفى ضربة منها، لتحطيم رأس ثور قوى..

وأطلقت (مشيرة) صرخة رعب هائلة..

وأيقن (رمزى) من مصرعه لا محالة..

ثم فجأة ظهر هو..

ظهر (س ١٨)، الذى عبر فتحة المقرّ السرى كالصاروخ، ودفع جسده فى المسافة الضيقة، بين (رمزى) ومهاجمه..

وهوت الهراوة على رأس (س ١٨)..

وتحطّمت..

تحطّمت فى عنف، أصاب صاحبها بآلام رهيبة فى كتفيه وذراعيه، وجعله يطلق صرخة مدوية، أشبه بصرخة حيوان جريح، قبل أن يدفعه رد الفعل إلى الخلف، ويسقط على الأرض فى قوة..

وهتف (رمزى) فى سعادة:

ــ (س ١٨).. يا إلهى!.. كم أحبك.

لم يوله (س ١٨) أدنى اهتمام، وهو يتجه فى بطء نحو الهمجى، الذى هبّ واقفًا فى رعب، وأخذ يتراجع بظهره، مطلقًا زمجرات خائفة، جعلت (رمزى) يهتف:

ـــ دعه يذهب يا (س ١٨) .
ولكن (س ١٨) لم يستجب ..
كان يبدو كما لو أنه لم يعد يستجيب لأحد ، وهو ينقضّ على الهمجى بغتة ، ويرفعه عاليًا ، ثم يلقيه أرضًا ..
وصرخت (مشيرة) فى رعب :
ـــ يا إلٰهى !!.. إنه سيقتله .
صاح به (رمزى) مرة أخرى :
ـــ اتركه يا (س ١٨) .. إنه لا يدرك ما يفعل .. إنه مجرّد ضحية .
ولكن (س ١٨) تجاهله مرة أخرى ، وعاد يحمل الهمجى ، ويلقيه أرضًا ، والمسكين يطلق صرخات رعب وألم عالية ، تمزّق القلوب .
وهتف (رمزى) فى توتر :
ـــ إنه لم يعد يستجيب للأوامر .. أسرعى بطلب (نور) ، فهو الوحيد الذى يمتلك سيطرة كاملة عليه .
قبل أن تتحرّك من مكانها ، ظهر (نور) ، وهو يقول :
ـــ أنا هنا يا (رمزى) .. لقد شاهدت ما يحدث ، على إحدى شاشات المراقبة .



لم يوله (س ١٨) أدنى اهتمام ، وهو يتجه فى بطء نحو الهمجى الذى هبّ واقفًا فى رعب ..

هتف (رمزى) :

ـــ أوقفه يا (نور) .. إنه سيقتل الرجل .

صاح (نور) فى صرامة :

ـــ توقف يا (س ١٨) .

توقف (س ١٨) ، والتفت إليه فى هدوء ، وكرر العبارة الوحيدة ، المسجلة فى أعماقه :

ـــ (س ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

تنهدت (مشيرة) فى ارتياح ، وغمغمت :

ـــ حمدًا لله .. لقد توقف .

ولكن (س ١٨) ألقى عبارته ، واستدار مرة أخرى إلى الهمجى ، فأمسك عنقه بقبضته ، ورفعه بيده عاليًا ..

وكانت مفاجأة مذهلة لـ (نور) ..

لقد رفض (س ١٨) إطاعة أوامره ..

رفض هذا لأول مرة ، منذ استكان له ..

وفى قوة باردة ، تراجعت قبضة (س ١٨) الفولاذية ، لتهوى على صدر الرجل ..

وصرخ (نور) :

ـــ لا يا (س ١٨) .. لا .

ولكن القبضة الخارقة هوت على صدر الهمجى المسكين ، الذى جحظت عيناه ، واحتبست فى حلقه صرخة ألم رهيبة ، قبل أن تغوص قبضة (س ١٨) فى جسده ، وتسلبه الروح فى وحشية رهيبة ..

وكان واحدًا من أكثر المشاهد ، التى رآها الجميع فى حياتهم ، هولًا ..

صرخت (مشيرة) ، وهوت فاقدة الوعى ..

وتراجع (رمزى) فى ذهول ..

أما (نور) فقد تجمد فى مكانه ، غير مصدق لما رأت عيناه ..

وفى هدوء رهيب ، وبيد آلية ، أغرقتها الدماء حتى مرفقها ، اتجه (س ١٨) إلى (نور) ، وقال جملته التقليدية :

ـــ (س ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

ثم أوقف آلاته ، ووقف ينتظر قتالًا آخر ..

* * *

«ما الذى يحدث هنا ؟»

هتفت (سلوى) بالعبارة فى مرارة وهلع ، وهى تتطلع إلى زوجها ، الذى جلس صامتًا ، عاقدًا حاجبيه ، خلف مكتبه ، يسترجع فى حيرة كل ما حدث ، ولقد رفع عينيه إليها فى حيرة ، وقال :

— لست أدرى يا (سلوى) .. حقًا لست أدرى .

ظهر (رمزى) على عتبة الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وبدا متوترًا مهمومًا ، فسأله (نور) :

— هل استسلمت (مشيرة) ، للنوم؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. لقد احتاجت إلى وقت طويل قبل أن تفعل ، فذلك المشهد أكثر بشاعة ، من أن يفارق الذهن فى سرعة .

غمغم (محمود) ، وهو ينكمش على مقعده ، فى ركن الحجرة :

— أعلم هذا .. لقد شاهدته على شاشة الراصد ، وكدت أفقد وعيى رعبًا .

نهض (نور) فى بطء ، وألقى نظرة حائرة ، مغمغمة بالتساؤل ، على الدكتور (محمد حجازى) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا وكأن الدكتور (حجازى) قد سمع مايدور فى عقله ؛ إذ أجاب فى خفوت :

— إنه ذلك الشىء يا (نور) .

تمتم (نور) :

— كنت أخشى هذا القول .

هتفت (سلوى) :

— عن أى شىء تتحدثان ؟

أشاح (نور) بوجهه ، دون أن يجيب ، فى حين قال الدكتور (حجازى) .

— عن ذلك القرص الشيطانى يا (سلوى) ، الذى وضعه (نور) فى قلب (س ١٨) ، منعًا لخطره فى المستقبل (*)

تراجعت هاتفة فى هلع :

— يا إلهى !

— واعتدل (محمود) ، يقول فى توتر :

— ولكن هذا مستحيل تقريبًا ياسيدى ، فجسم (س ١٨) مصنوع من مواد بالغة القوة والصلابة ، ومن المستحيل أن يسيطر عليه شىء كهذا .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، وسأله فى رصانة :

— أأنت واثق من هذا ؟

ظهرت الحيرة على وجه (محمود) ، وتردد فى الجواب لحظات ، ثم خفض وجهه ، قائلاً :

— لا .. لست واثقًا من هذا .

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

اتجه (نور) إلى شاشة الراصد، وتطلع إلى صورة (س ١٨)، الذى يقف ساكنا صامتا، فى موقعه المعتاد، عند مدخل المقر، وقال:

— من يدرى؟.. ربما كان حادثا عرضيًا.

قال الدكتور (حجازى):

— وربما لا.

صمت (نور) لحظات، متطلعًا إلى صورة (س ١٨)، ثم التفت إلى رفاقه، قائلًا فى لهجة حازمة حاسمة قوية:

— هذا يحسم الأمر يا رفاق.. سيبقى (س ١٨) هنا، فلن أضمن موقفه هناك.

شحب وجه (سلوى)، وهى تهتف:

— ماذا تعنى؟.. هل ستذهب لإحضار الدكتور (رشاد) وحدك؟

قال (رمزى):

— سأذهب معه.

صاحت (سلوى):

— لا.. لن يذهب أحدكما بدون (س ١٨).. ألا تدركان ما ستواجهانه هناك؟.. إنهم أكلوا لحوم البشر.. هل تفهمان ذلك جيدًا؟

قال (نور) فى صرامة:

— كفى يا (سلوى).

صاحت فى عصبية:

— لا يا (نور).. لقد فقدت ابنتى الوحيدة، فى هذه الحرب اللعينة، ولن أفقد زوجى أيضًا، بسبب..

قاطعها بصيحة غاضبة:

— قلت كفى.

بترت عبارتها، وهى تحدق فى وجهه بدهشة، فتابع فى صرامة:

— هذا الرجل، الذى سنذهب لإحضاره، هو الأمل الوحيد، فى أن يستعيد البشر عقولهم وحضارتهم، ولو لم نذهب لإحضاره على الفور، فسيلقى مصرعه، إما جوعًا، أو بأسنان أكلة لحوم البشر، ومن واجبنا أن نمنع هذا، وأن نبذل أقصى جهدنا لإحضاره إلى هنا، والتعاون معه، فى سبيل إعادة الحضارة.

غمغمت فى ألم:

— ولكن يا (نور)..

تجاهل مقاطعتها تمامًا، وهو يستطرد:

— هل سألت نفسك مرة واحدة، لماذا انتخبنا الله (سبحانه وتعالى)، من بين من انتخب، لنبقى محتفظين بعقولنا وحضارتنا ؟.. إنه لم يفعل هذا حتمًا ؛ لأننا الأفضل، ولكن لكي توكل إلينا مهمة العمل بلا هوادة، من أجل الآخرين..

وانعقد حاجباه فى شدة، وهو يضيف :

— إنه واجبنا يا (سلوى)، وواجبى بالدرجة الأولى، ما دمت القائد هنا، وأنا لم أعتد التنصّل من واجبى أبدًا.

وكان من الواضح أنه لن يقبل أية مناقشات زائدة، فى هذا الشأن..

وأنه قد اتخذ القرار..

القرار الحاسم..

* * *



٤ — مجرمو الفضاء..

لو أن الأقمار الصناعية، الخاصة بمراقبة الفضاء، كانت تعمل كما ينبغى، مثلما كانت قبل الغزو، لالتقطت بلا شك كل ما حدث على سطح القمر، فى الشهور الأخيرة، ولأرسلت إنذارًا حاسمًا إلى الأرض، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها تلك المركبة الفضائية الكبيرة، من القمر إلى الأرض..

فمنذ بداية الغزو الفضائى للأرض، واحتلالها من قبل غزاة كوكب (جلوريال)، تجاهل الغزاة القمر تمامًا، باعتباره مجرّد تابع للأرض، لا يحوى سوى سجن محكم، أعدته الأمم المتحدة، فى أوائل القرن الحادى والعشرين، لنفى عتاة المجرمين(*)..

وطوال فترة الاحتلال، وعلى الرغم من أن مسئولى سجن القمر قد التقطوا كل ما يحدث على سطح الأرض، إلا أن المحتلين ظلوا يتجاهلون القمر وسجنه تمامًا، فى حين لزم

(*) راجع قصة (سجن القمر).. المغامرة رقم (٤٨).

مسئولو السجن الصمت، لإدراكهم استحالة تصديهم للغزو ..

ومع انفجار قنبلة (جاما)، فقد سكان الأرض عقولهم وحضارتهم، فى حين بقى المقيمون على سطح القمر محتفظين بكل هذا ..

ولكن طاقم الحراسة بدأ ينهار ..

لقد فقدوا أسرهم وأقاربهم وحياتهم، وأصبحوا تمامًا مثل المسجونين الخمسة، الذين لم يعد سجن القمر يحوى سواهم ..

أصبح الجميع سجناء ..

ومع انهيار أعصاب طاقم الحراسة، جاءت فرصة المسجونين، للتمرّد والفرار ..

وفى ثورة مفاجئة، لقى طاقم الحراسة كله مصرعه، وكذلك اثنان من المسجونين الخمسة، وبقى ثلاثة، هم أعتى مجرمى الأرض على الإطلاق ..

الأمريكى (جيمس)، والإيطالى (كارلو)، والألمانى (رالف) ..

وأدرك الثلاثة أن الأرض قد انتهت حضارتها، وتصوّروا أنهم آخر العقلاء من أهلها، وأن فرصتهم قد حانت، لينتقموا ممن نفوهم إلى (سجن القمر)، وليحتلوا عرش الأرض ..

وفى ذلك الصباح، جمعوا كل ما وجدوه من أسلحة، واستقلّوا سفينة الحراسة الفضائية ..

وانطلقوا إلى الأرض ..

وكانت هذه بداية احتلال جديد ..

وجحيم جديد ..

* * *

لم تستطع (سلوى) إخفاء حزنها، وهى تودّع (نور) و(رمزى)، عندما استقلّا سيارة بدائية، واستعدّا لبدء رحلتهما إلى (الاسكندرية)؛ لإنقاذ الدكتور (رشاد)، وإحضاره إلى مقرّ القيادة ..

وفى أسى، قبّلت (نور)، وقالت:

— عد يا (نور) .. عد من أجلى.

ربّت على وجهها فى حنان، وهو يقول:

— سأعود بإذن الله يا (سلوى).

سأله الدكتور (حجازى):

— كم ستستغرق رحلتكما يا (نور).

أجابه (نور):

— المفروض أن تستغرق يومًا واحدًا على الأكثر، ولكن

الطرق لم تعد ممهّدة كسابق عهدها ، ولسنا ندرى بالضبط كم المخاطر والعوائق ، التى ستواجهنا ، حتى نبلغ مخبأ الدكتور (رشاد) ، ولا التى ستتصدّى لنا ، ونحن نعود به ، ولهذا لا يمكننى معرفة الوقت ، الذى ستستغرقه الرحلة .

وضع (محمود) وعاءً ضخمًا ، يمتلئ بالوقود ، فى المقعد الخلفى للسيارة ، وهو يقول :

ـ المهم ألا تستغرق وقتًا أطول ، من الوقود الذى لديكما .

تمتم (رمزى) ، وهو يحاول الابتسام فى صعوبة :

ـ أتعشم ذلك .

جفّفت (مشيرة) دموعها ، وهى تقول له :

ـ لا تخاطر بنفسك كثيرًا يا (رمزى) .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وغمغم :

ـ سأحاول .

وهنا أدار (نور) محرّك السيّارة ، ولوّح بيده قائلاً :

ـ إلى اللقاء يا رفاق .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ على بركة الله يا ولدى

وانطلقت السيّارة ، (نور) و (رمزى) ، نحو الهدف .. ونحو الخطر ..

* * *

تحرّكت فتاة همجية ضئيلة الحجم ، زرية الهيئة ، بين أطلال المتحف البحرى القديم بـ(الاسكندرية) ، وراحت تقلب الأحجار المتهدّمة فى خفة ، بحثًا عن أى شىء صالح للأكل ، حتى ولو كان حيوانًا صغيرًا ، من القوارض الدنيئة ..

وفجأة شعرت بحركة على مقربة منها ، فانتفضت فى رعب ، ثم تراجعت فى حدة ، مطلقة صرخة أشبه بصرخة حيوان صغير مذعور ، عندما وقع بصرها على رجل ضخم الجثة ، مخيف ، تألّقت عيناه فى ظفر ، عندما وقع بصره عليها بدوره ..

ثم برز ثان ..

وثالث ..

وامتلأت نفس الفتاة بالرعب ، وقد أدركت ما ينتظرها ..

لقد شاهدت هذا من قبل ، وهى تختبئ فى أطلال أخرى ..

شاهدت رجالاً يهاجمون شابًا نحيلاً ، ويمزّقونه إربًا ، و ... ويأكلونه ..

ومن تلك النظرة الوحشية فى عيونهم، أدركت أن مصيرها لن يختلف كثيرًا ..

وزمجر أحد الرجال الثلاثة ..

وانقضّ على الفتاة ..

وفى رعب يائس، استدارت الفتاة، وانطلقت تعدو بلا هدف ..

وخلفها انطلق الرجال الثلاثة ..

ولم يكن أمام الفتاة سوى تلك الساحة العلوية، التى تمتد بمحاذاة قلعة (قايتباى) القديمة، فاندفعت نحوها، حتى بلغت نهايتها، ثم توقّفت فى رعب ..

لم يعد أمامها سوى صخور حادة مخيفة، ترتفع وسط بحر متلاطم الأمواج ..

وبدا من الواضح أنها النهاية ..

حتمًا ..

وفجأة ارتفع ذلك اللهب فى السماء ..

وارتفعت عيون الرجال الثلاثة إليه فى دهشة وقلق ..

وفى لحظة، كانوا قد نسوا أمر الفتاة، وتراجعوا فى ذعر، وهم يراقبون ذلك اللهب، الذى ملأ المكان ضجيجًا، وهو يهبط من السماء، متجهًا إلى تلك الساحة بالتحديد ..



لم يعد أمامها سوى صخور حادة مخيفة، ترتفع وسط بحر متلاطم الأمواج.

وانتهزت الفتاة فرصة انشغال الوحوش الثلاثة عنها، فانطلقت تعدو مبتعدة، دون أن تستدير خلفها لحظة واحدة..

وفى ذعر، انطلق الرجال الثلاثة إلى الأطلال، واختفوا بينها، وعيونهم تتابع ذلك الجسم الضخم، الذى اتضحت صورته تدريجيًا، وهو يقترب من الساحة، ثم ارتجفوا فى هلع، عندما انطلقت من أسفله نيران عنيفة، جعلت سرعته تنخفض كثيرًا، وهو يهبط فى منتصف الساحة، ثم يستقرّ فوقها ساكنًا، ويتوقّف اندلاع النيران من أسفله، وتتصاعد أدخنة كثيفة منه..

وبعدها ساد الصمت التام.. صمت رهيب مخيف، دام لدقائق طويلة، لم يجرؤ الرجال الثلاثة خلالها على رفع أعينهم، عن ذلك الجسم الهائل..

وفجأة تحرّك جزء من ذلك الجسم الهائل، وبرز خلفه المجرمون الثلاثة، وعلى وجه كل منهم ابتسامة ساخرة، وقال (رالف):

— إذن فهذا ما تبقّى من الأرض.

مطّ (جيس) شفتيه، وقال:

— يا للخسارة!.. كنت أحلم بحكم كوكب أفضل.

أشار (كارلو) إلى عدد من الهمج، راحوا يتجمّعون عند

الأطلال، ويتطلّعون إلى سفينة الفضاء فى حذر وخوف، وقال:

— أهؤلاء كل رعايانا؟

قال (جيس) فى برود:

— سنكتفى بهم مؤقتًا.

وصوّب مسدسه الليزرى إلى الأطلال، وأطلق الأشعة..

وتفجّرت صخور الأطلال..

وصرخ الهمج، وراحوا يعدون فى كل مكان، بلا نظام، ولكن (كارلو) قال فى جذل:

— الآن تبدأ رحلة الصيد.

وضغط زرًا فى جسم سفينة الفضاء، فانفتحت كوة صغيرة أسفلها، وانطلقت منها عشرات الحلقات المغناطيسية، راحت تطارد الهمج، وتحيط بأذرعتهم فى قوة، ثم تحملهم إلى أعلى، وتنطلق بهم عائدة إلى الكوّة..

وقهقه (جيس) فى سعادة، وهو يهتف:

— إنها البداية.. مجرّد بداية..

وكان على حق..

إنها البداية..

* * *

ابتسم (رمزى)، محاولاً التغلّب على توتره، وهو يتطلّع إلى الطريق المقفر أمامه، ويقول لـ(نور):

ـ من يتصوّر أن يأتى يوم، نقود فيه مثل هذه السيارة البدائية يا (نور)، بعد سنوات من قيادة السيارات الصاروخية..

أجابه (نور)، وهو ينطلق بالسيارة فى حذر، فوق الطريق غير الممهّد:

ـ فلنحمد الله (سبحانه وتعالى)، على أننا وجدنا مثل هذه السيّارة يا (رمزى)، بعد أن حطّم الغزاة كل صور الحضارة.

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا، وغمغم:

ـ بالطبع.

لاذ بالصمت لحظات، ثم شعر بحاجته إلى التحدّث مع (نور)، فالتفت إليه يسأله:

ـ ما الذى تتوقّع أن نواجهه يا (نور)؟

أجابه (نور) فى حسم:

ـ أى شئ.

سأله فى اهتمام:

ـ مثل ماذا؟

رأى حاجبا (نور) ينعقدان فى شدة، وأصابعه تقبض على عجلة القيادة فى قوة، وهو يجيب:

ـ مثل هذا.

استدار (رمزى) يتطلّع إلى ما ينظر إليه (نور)، وانعقد حاجباه بدوره، عندما رأى أمامه جيشًا صغيرًا من الهمج، يعترض طريق السيارة..

كانت النظرات الوحشية تطلّ من العيون، والشراسة تبرز مع الأسنان والأنياب، وكل همجى يمسك هراوة، أو صخرة كبيرة، ليواجه بها السيارة..

وهتف (رمزى):

ـ زد من سرعتك يا (نور).

أجابه (نور) فى توتر:

ـ سنصطدم بهم لو فعلت يا (رمزى).

هتف (رمزى):

ـ فليكن.. انطلق، مهما كان الثمن.

ولكن طبيعة (نور) تختلف كثيرًا..

إنه يمقت العنف والقتل والدمار..

يمقت كل هذا فى شدة ، تجعله يبذل دائمًا أقصى جهده ، لتفادى أى صورة من هذه الصور ..

وبالذات القتل ..

طيلة عمره وهو يعتبر القتل أبشع الجرائم ..

ووقر هذا فى أعماقه ، حتى صار من المستحيل أن يتخلّى عن الفكرة ..

وفى حزم ، أجاب (رمزى) :

ــ لا يا (رمزى) .. لن أفعل .

ثم انحرف بالسيارة ، وتجاوز بها حدود الطريق ، وراح يرتجّ معها فى قوة ، وهو ينطلق محاولاً تفادى ذلك الجيش الهمجى الصغير ، وتجاوزه دون قتال ..

ولكن الهمج أطلقوا صرخاتهم الوحشية ، واندفعوا نحو السيارة ..

وصرخ (رمزى) مرة أخرى :

ــ انطلق يا (نور) .. زد من سرعة السيارة .

لم يدر (رمزى) لحظتها أن (نور) ينطلق بأقصى سرعة ممكنة ، يسمح بها محرّك السيارة القديم ، وأنه يبذل أقصى مهاراته وجهده ، فى محاولة للإفلات من ذلك الهجوم البربرى ..

وألقى الهمج صخورهم وهراواتهم على السيارة ..

وتحطّم الزجاج الأمامى ..

وأصيب جسم السيارة بأكثر من ضربة ، و (نور) ينحرف به فى عنف ، و ...

ووسط كل هذه المخاطر ، انفجر إطار السيّارة ..

انفجر بدوى عنيف ، أفقد السيّارة توازنها ، وأفقد (نور) سيطرته على عجلة قيادتها ، فدارت حول نفسها فى سرعة مخيفة ، ومالت إلى جانبها الأيسر لحظة ، بدا خلالها أنها ستنقلب رأسًا على عقب ، إلا أنها لم تلبث أن عادت إلى توازنها ، وأطلق محرّكها زمجرة عنيفة مخيفة ، قبل أن يتوقّف تمامًا ..

واتسعت عينا (رمزى) فى ذعر ..

لقد توقّفت السيارة وسط جيش همجى وحشى .. وقاتل .

* * *



٥ ـــ الأباطرة ..

تسلّل ذلك الضباب الهلامى الكثيف يغمر الفراغ، الممتدّ إلى مالا نهاية، ويتصاعد فى بطء وهدوء، فى نفس الوقت الذى بدا فيه ظلّ بعيد، يحاول اختراق الضباب فى صعوبة، وهو يقترب من مجال الرؤية، ويشقّ طريقه فى إصرار ..

ثم اتضحت ملامح ذلك الظلّ البشرى ..

لقد كانت فتاة ..

فتاة جميلة، رقيقة، مدّت يدها إلى الأمام، وكأنما تحاول التشبّث بشىء ما، وهى تقول:

ـــ أمى .. هل تسمعيننى؟

هتفت (سلوى) فى لهفة:

ـــ (نشوى) .. إننى أسمعك يا بنيتى .. أسمعك .. أين أنت؟

أجابتها (نشوى) فى يأس:

ـــ إننى هنا يا أمى .. إلى جوارك .. على بعد خطوة واحدة منك، ولكننى لا أستطيع لمسك، أو تقبيلك.

بكت (سلوى)، وهى تقول:

ـــ عودى يا (نشوى) .. لا يمكنك أن تتصوّرى العذاب الذى أحياه، منذ شهدت مصرعك بعينىّ.

قالت (نشوى):

ـــ أريد العودة يا أمى، ولكننى أعجز عن هذا.

سالت دموع (سلوى) فى حرارة، وهى تقول:

ـــ أعلم هذا يا بنيتى .. أعلم هذا .. من المستحيل أن يعود البشر، بعد لقاء ربّهم.

هتفت (نشوى):

ـــ لست حيث تظنوننى يا أماه .. إننى حولكم .. يا إلهى!.. كيف أشرح هذا؟

ثم بدأ الاهتزاز على وجهها، وجسدها يتلاشى تدريجيًا، مع صوتها الخافت، وهى تقول:

ـــ سأترك دليلًا على وجودى يا أماه .. سأبذل أقصى جهدى لأترك دليلًا ..

صرخت (سلوى):

ـــ لا تذهبى يا (نشوى) .. لا تذهبى يا بنيتى .. عودى يا (نشوى) .. عودى .. عودى.

انتفض جسدها فجأة، على الرغم من رقة تلك الأصابع، التى ضغطت كتفها فى رفق، وفتحت عينيها فى حدة، وحدّقت لحظة فى وجه الدكتور (حجازى)، ثم اعتدلت على مقعدها، مغمغمة فى حرج:

ــ معذرة يا دكتور (حجازى).. يبدو أن الإرهاق قد هزمنى، فاستسلمت للنوم على هذا المقعد، و...

لم تجد ما تتمّ به عبارتها، وهو يتطلّع إليها بهذه النظرة الأبوية الحنون، فأطبقت شفتيها، وخفضت عينيها أرضًا، وأطلقت العنان لدموعها، مما جعله يربّت على كتفيها مشفقًا، وهو يقول:

ــ إننى أقدّر مشاعرك يا بنيتى.

غمغمت وهى تنتحب:

ــ إننى أفتقدها كثيرًا يا دكتور (حجازى).

أجابها فى حنان عطوف:

ــ أعلم هذا يا بنيتى . أعلم هذا.

ثم اعتدل، وأشار إلى شاشة الكمبيوتر، مستطردًا فى حيرة:

ــ ولكن لماذا فعلت هذا؟

استدارت فى تساؤل إلى شاشة الكمبيوتر، ثم اتسعت عيناها عن آخرهما، وخفق قلبها فى عنف، وهى تتطلّع إلى العبارة المرتسمة فوقه، والتى تقول فى اقتضاب:

ــ أنا هنا.

ثم توقيع هوى له عقلها..

توقيع ابنتها (نشوى)..

* * *

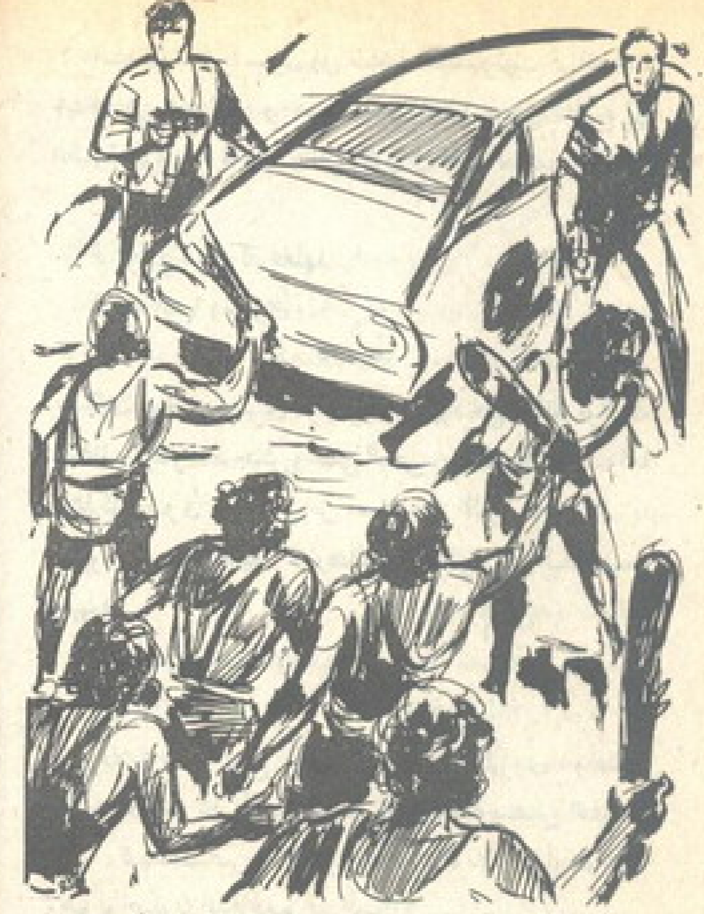
كان موقف (رمزى) و(نور) عسيرًا بحق، فلقد توقّفت بهما السيارة وسط جيش وحشى همجى، متعطش للدماء، وهما لا يملكان سوى مسدسين من مسدسات الليزر فحسب..

وفى اللحظة التالية، كان هناك شلال شرس من البشر ينهمر عليهما..

وكان عليهما أن يقاوما..

بأى ثمن..

وبلا تردد، انتزع (رمزى) مسدسه الليزرى، وأطلق الأشعة القاتلة على أقرب همجى إليه، ورآه ينتفض انتفاضة عنيفة، ثم يسقط صريعًا، فتطؤه أقدام رفاقه بلا رحمة أو هوادة، وهم يواصلون اندفاعهم نحو السيارة..



وبلا تردد ، انتزع (رمزى) مسدسه الليزرى ، وأطلق الأشعة القاتلة على أقرب همجى إليه ..

أما (نور) ، فقد قفز خارج السيارة ، حاملاً مسدسه الليزرى ، ولكنه لم يطلق منه طلقة واحدة على المهاجمين ، وإنما لكم أقربهم إليه لكمة قوية ، ثم استدار يضرب آخر بكعب مسدسه ، واعتدل يواجه هجومًا ثالثًا ورابعًا وخامسًا ..

ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ، كما تقول الأمثال ..

وهذا ما حدث ..

لقد وجد (نور) نفسه محاطًا بهؤلاء الهمج ، الذين يطلقون صرخات وحشية مخيفة ، وعيونهم تشتعل بنظرات شرسة ، أشبه بنظرات حيوانات مفترسة جائعة ، وقعت على فريسة دسمة ..

وعلى الرغم من مقاومته المستميتة ، نجح الهمج فى انتزاع مسدسه الليزرى ، وألقوه بعيدًا ، ثم أمسكوا قدميه وذراعيه ، وحملوه فى وحشية إلى صخرة قريبة ، طرحوه فوقها ، فى حين رفع أحدهم فأسًا حجرية ، استعدادًا لتحطيم رأسه ..

وفى نفس اللحظة كان (رمزى) قد انهار ، تحت ضربات مهاجميه ، الذين جردوه من سلاحه بدورهم ، وقيدوه بأيديهم وأذرعتهم ، ثم حملوه إلى نفس الصخرة ..

وتوقف الزمن لحظة ، ارتفع فيها فأسان حجريان ، وتجمدًا

فى الهواء ، مع هتاف وحشى أطلقه الهمج جميعًا ، فى صوت يصم الآذان ، وتنخلع له القلوب ..

وأدرك (رمزى) أنها النهاية لا ريب ، فصرخ :

ـــ الوداع يا (نور) .. الوداع .

وهوت الفأس الحجرية على رأسه ..

* * *

استرخى الأمريكى (جيس) فوق مقعد خشبى ضخم ، من المقاعد الأثرية ، فى قلعة (فاينباى) ، ونفث دخان سيجاره الضخم فى غرور ، وهو يتطلّع إلى الهمج ، الذين أحيطت أقدامهم بالأغلال ، وراحوا ينظفون المكان ، ويعدّونه للسكنى ، تحت تهديد ضربات سوط كهربائى ، يحمله (كارلو) ، الذى راح يضرب السوط فى الهواء ، فتصدر عنه فرقعة مخيفة ، وتنبعث من طرفه شرارات مضيئة ، ترتجف لها قلوب الهمج ، فيواصلون عملهم فى رعب ..

وقهقه (جيس) ضاحكًا ، وهو يشير إلى المشهد ، قائلًا لـ (رالف) :

ـــ عظيم .. هذا ما كنت أحلم به طيلة عمرى .. أن أحيا فى قلعة ضخمة ، يخدمنى فيها عدد من الصبية .. وها هو ذا الحلم يتحقّق .. أليس كذلك يا عزيزى (رالف) ؟

مطّ (رالف) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـــ لم أحلم بهذا أبدًا .

ثم ضمّ قبضته ، مستطردًا :

ـــ وإنما حلمت دومًا بالقوة .. القوة المطلقة .

عاد (جيس) يشير إلى ما يحدث ، هاتفًا :

ـــ وها هى ذى ملك يمينك يا رجل .

هوى سوط (كارلو) الكهربائى ، فى اللحظة نفسها ، على ظهر أحد الهمج ، فأطلق المسكين صرخة ألم هائلة ، وانتفض جسده فى قوة ، ثم سقط أرضًا ، وراح ينتفض فى شدة ، فانكمش الآخرون فى رعب ، وهم يحدقون فيه ، ولكن (كارلو) فرقع سوطه فى الهواء ، وهو يصرخ بهم :

ـــ إلى العمل أيها الحقراء .. عودوا إلى العمل .

أسرعوا ينفذون أوامره فى ذعر ، فابتسم (جيس) فى زهو ، وهو يقول لـ (رالف) :

ـــ أرأيت ؟.. إننا السادة هنا ، بلا منازع .

عاد (رالف) يقلب شفتيه فى ازدراء ، وقال :

ـــ سادة على من ؟

لم يفهم (جيس) ما يعنيه (رالف) ، فحدّق فى وجهه لحظة فى تساؤل ، ثم هزّ كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، وسأله :

— هل وضعت أسلحة السفينة فى مواضعها ، حول أسوار القلعة ؟

أومأ (رالف) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. لقد أحطت القلعة بجدار كهرومغناطيسى قوى ، لن تخترقه حتى القنابل النووية ، ووضعت أربعة مدافع ليزر فوق الأبراج الأربعة ، وجهاز التقــاط قوى فوق البرج الرئيسى ، وآلات تصوير فى كل مكان ، وربطت كل هذا بالكمبيوتر الرئيسى ، فى القبو .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا :

— ولكن فيمَ كل هذا ؟.. إننا نواجه مجموعة من الهمج فحسب .

هزّ (جيس) كتفيه ، وقال :

— من يدرى ؟.. أليس من المحتمل أن يظهر آخرون ؟

عقد (رالف) حاجبيه ، مفكرًا فى هذا الاحتمال ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، وقال :

— بلى .. ربّما يظهر آخرون .

وفى أعماقه تمنّى أن يظهر خصوم أقوياء ، حتى يمكنه أن يستمتع بالقتال ..

وبإراقة الدماء ..

* * *

فى اللحظة التى بدأت فيها الفأس الحجرية رحلة هبوطها القاتل ، نحو رأس (رمزى) ، انبعث ذلك الأزيز الحاد فى الهواء ..

أزيز متصل ، صحب خيطًا متألقًا من الأشعة الزرقاء ، قبل أن يرتطم هذا الخيط برأس حامل الفأس ، ويخترقه بلا هوادة ..

وجحظت عينا الرجل ، وسقطت الفأس من يده ، وسقط هو جثة هامدة ، فوق (رمزى) ، الذى اتسعت عيناه فى دهشة ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، وهو يحدّق فى العينين الجاحظتين ، الخاليتين من الحياة ، فى نفس الوقت الذى انهالت فيه خيوط الأشعة على الهمج ..

وسقط القتلى فى سرعة مدهشة ، وساد الهرج والمرج ، وتخلّى الهمج عن (نور) و (رمزى) ، وراحوا يعدون بلا نظام ، ويتخبط بعضهم ببعض من شدة الرعب ، فى حين واصلت الأشعة الزرقاء حصدهم بلا رحمة ، فهتف (نور) ، وهو يهبّ واقفًا على قدميه :

— ما الذى يحدث هنا ؟

أزاح (رمزى) جثة الرجل الملقى فوقه، ونهض يقول فى توتر:

ـ لست أدرى، ولكن من المؤكد أنه هناك شخص أو أشخاص عاقلون هنا.

توقف سقوط الأشعة، مع خلو المكان من الهمج الأحياء، وازدحامه بجثث القتلى، وهنا برز رجل من خلف تل قريب، ورفع يده ببندقية ليزر، وهو يهتف:

ـ أأنتما بخير؟

لم يجب (نور) و(رمزى)، وإنما حدقا فى وجه القادم فى ذهول، وهو يهبط التل فى هدوء ولا مبالاة، مرتديًا زيًا زرقًا، وممسكًا ببندقيته الليزرية، وسيجارة بين شفتيه..

كان رجلًا فى أوائل الأربعينيات من عمره، كث الحاجبين، بارد الملامح، يميل رأسه إلى الصلع قليلًا..

وهتف (رمزى):

ـ يا إلهى.. لم أتصور وجود أحياء عقلاء غيرنا.

سمع الرجل عبارة (رمزى)، وهو يقترب منهما، فارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة، وهو يقول:

ـ أنا أيضًا لم أتصور هذا.

ثم مد يده يصافحهما، مستطردًا:

ـ اسمى (أكرم)، مساعد مهندس ثالث، فى هيئة المناجم.

أشار (نور) إلى صدره، قائلًا:

ـ أنا (نور)، وهذا رفيقى (رمزى).

هتف (أكرم)، فى لهجة أقرب إلى السخرية:

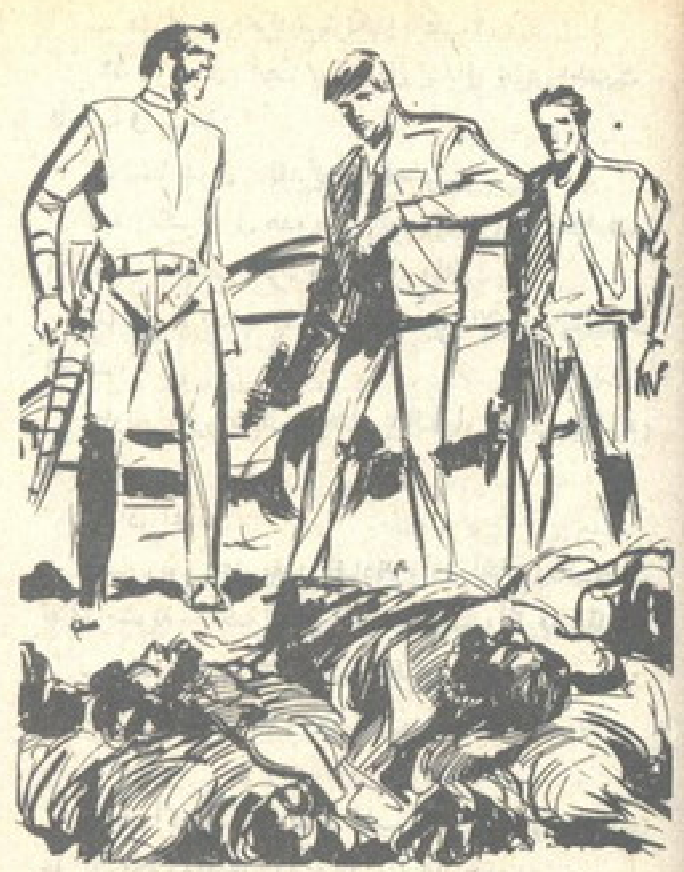
ـ (نور) و(رمزى).. بطلا التحرير.. يا إلهى!.. لقد تصورت أنكما فقدتما عقليكما؟ مع من فقدوا عقولهم.. هل يروق لكما ما أوصلتما الأرض وسكانها إليه، بعد حرب التحرير العظيمة؟

ظهر الضيق على وجه (رمزى)، فى حين قال (نور) فى صرامة:

ـ لن نناقش هذا الآن يا (أكرم).. أخبرنى أولًا: كيف نجوت من تأثير قنبلة (جاما)؟

هز (أكرم) كتفيه، وقال:

ـ لست أدرى كيف، فكل ما أذكره هو أننى هاجمت أحد الغزاة، واشتبكت معه فى قتال عنيف، سقطنا خلاله فى بئر أحد المناجم، ومع السقطة انكسر عنقه، فلقى مصرعه فى



قال (نور) فى حدة ، وهو يشير إلى عشرات الجثث حوله :
ــ وهل تعلّمت أن تقتل البشر بلا رحمة ؟

الحال ، فى حين وجدت أنا نفسى سجينا داخل البئر ، وفى أثناء محاولاتى للخروج ، دوى انفجار مكتوم ، ارتج له مخى داخل جمجمتى ، فهويت فاقد الوعى ، ولا ريب أننى قد استغرقت فترة طويلة ، قبل أن أستعيد وعيى ، فلقد استيقظت لأجد نفسى مغمورًا بأتربة المنجم ، فواصلت محاولة خروجى من البئر ، وفاجأنى ما وجدت الأرض عليه ، وأرعبنى ما أصاب سكانها ، ثم لم ألبث أن تكيفت مع الوضع ، وقررت أن أقاوم لأحيا .. وهأنذا .

قال (نور) فى حدة ، وهو يشير إلى عشرات الجثث حوله :

ــ وهل تعلّمت أن تقتل البشر بلا رحمة ؟

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وقال :

ــ هل كنت تفضّل أن أتركّكما لهم ؟

هتف (نور) غاضبًا :

ــ كانت تكفى إصابة أو إصابتان ، لبث الرعب فى قلوبهم أو ...

قاطعه (أكرم) فى ضجر :

ــ فليكن .. افعل هذا ، عندما نتبادل الأدوار .

وقبل أن يسمح لـ(نور) بالاستطراد ، التفت إلى السيارة ، مستطردًا :

— هل أصيب محرّك سيارتكما بعطب؟

كان (رمزى) أيضًا يرغب فى إبدال مجرى الحديث، فأجاب فى سرعة:

— لسنا ندرى.. لقد توقّف فحسب.

اتجه (أكرم) فى هدوء إلى السيارة، ورفع غطاءها الأمامى، ثم فحص المحرّك فى سرعة، وقال:

— لا.. لم يصب بعطب، سنصلح الإطار التالف فحسب.

تعاونوا على إبدال الإطار التالف، ثم قال (أكرم) لـ(نور):

— أدر المحرّك.

جلس (نور) على مقعد القيادة، وأدار المحرّك، فاستجاب له فى خشونة، ولكنه انطلق يعمل، فابتسم (أكرم)، قائلًا:

— رائع.. لدينا الآن وسيلة انتقال.

عقد (نور) حاجبيه، وهو يقول:

— لدينا؟!

أجابه (أكرم)، وهو يفتح الباب الخلفى للسيارة، ويجلس على الأريكة، واضعًا بندقيته الليزرية على ركبتيه:

— بالطبع.. لقد سئمت الوحدة، وسأصحبكما إلى أى مكان تذهبان إليه.

سأله (نور):

— أتعلم وجهتنا، وطبيعة مهمتنا؟

لوّح بكفه، قائلًا فى مرح:

— إنكما بطلان، ولا ريب أنكما تنطلقان لإنقاذ بعض العقلاء من خطر داهم، أو البحث عن وسيلة لإعادة العقل إلى سكان كوكب الأرض.. أعلم هذا.. لقد قرأت عشرات من الروايات الشبيهة فى صباى.. هيا.. سأشارككما مهمتكما.

تبادل (نور) و(رمزى) نظرة دهشة، ثم عاد (نور) يتطلّع إلى (أكرم)، قائلًا:

— يبدو أنك لا تدرك بالفعل خطورة مهمتنا.. إننا لن نواجه مجرّد قبائل همجية، بل نوعًا خاصًا من الهمج، تحوّلوا بسبب نقص الغذاء إلى..

قاطعه (أكرم) بابتسامة ساخرة:

— أعلم ما تحوّلوا إليه، وإلا فلماذا تتصور أننى تركت كل هذه الجثث خلفنا؟

ومال نحوه، مستطردًا:

— إننى أؤمّن غذاءً مجانيًا لهؤلاء الأوغاد . حتى يكفوا عن مطاردتنا .

انتفض (رمزى) فى اشمئزاز ، فى حين هتف (نور) فى حنق :

— ياله من رجل !

تراجع (أكرم) ، قائلًا فى صرامة :

— إننى رجل واقعى يا بطل التحرير ، قضيت الشهور الثلاثة الأخيرة وحيدًا ، وسط عالم وحشى ، أنام بعين نصف مغمضة ، وأشك فى كل حجر يعترض طريقى ، وأواجه الخطر والموت فى كل لحظة ، ولقد شاهدت بعينى أهوالًا ، يشيب لها الوليد فى بطن أمه ، وبقائى على قيد الحياة يعنى أننى قاتلت بكل قوة وشراسة ، دفاعًا عن حياتى ، ولم أكتف بترديد حكم وأقوال مثالية .. هل فهمت الآن لماذا أتعامل بهذا الأسلوب ؟

مضت لحظة من السكون ، قبل أن يقول (رمزى) :

— أنت على حق يا رجل .

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا :

— لقد قضينا نحن هذه الشهور الثلاثة فى مقر سرى مكيف الهواء ، مجهز بكل وسائل الرفاهية ، وعلى بابه يقف (س ١٨) ، بكل قوته وقدراته ، لحمايتنا والذود عنا ، وعلى

الرغم من هذا توترت أعصابنا فى شدة ، وأصبحنا لا نحتمل النقاش ، فما بالك بما عاناه (أكرم) .

صمت (نور) لحظات ، وهو يتطلّع إلى وجه (أكرم) ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

— فليكن .. ستصحبنا يا (أكرم) .

وأمسك عجلة القيادة ، مستطردًا فى نفس اللهجة :

— هيا بنا ، فقد أضعنا وقتًا ثمينًا .

وعندما انطلقت السيارة هذه المرة ، لتواصل رحلتها ، كان هناك فرد جديد قد أضيف إلى الفريق ..

وإلى الأمل ..

* * *

قطع (محمود) ممر مركز القيادة الطويل فى خطوات سريعة ، وهتف وهو يدلف إلى حجرة الاتصالات والكمبيوتر ، حيث تجلس (سلوى) مع الدكتور (حجازى) :

— ماذا حدث يا (سلوى) ؟.. لماذا طلبت حضورى بهذه السرعة ؟

هتفت (سلوى) فى انفعال ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر :

اقرأ هذه العبارة .

انعقد حاجباه ، وهو يقرأ العبارة ، التى تحمل توقيع (نشوى) ، ثم قال فى حدة :

ـــ من فعل هذا ؟

سألته بكل انفعالها :

ـــ ما رأيك أنت ؟

لوّح بكفه ، هاتفًا :

ـــ رأيى أنها دعابة سخيفة ، يستحق صاحبها العقاب .

صاحت فى صوت مرتجف ، وهى تشير مرة أخرى إلى الشاشة :

ـــ بل هى رسالة وعلامة يا (محمود) ، تلقيتها من ابنتى (نشوى) .. إنها تستغيث بنا لإنقاذها ، وإعادتها إلينا .

قال فى صرامة :

ـــ لا تتشبثى بهذه الفكرة يا (سلوى) ، ولا تفقدى إيمانك بالله (سبحانه وتعالى) .. كلنا نعلم أن الموتى لا يعودون إلى الحياة ، إلا فى يوم الحشر ، ومن الخطأ أن يدفعنا حزننا على موتانا إلى الاقتناع بالعكس ، أو بقدرة البشر على إعادة الحياة إلى من رحلوا ، مهما بلغ تقدمنا وبلغت علومنا .

هتفت مرة أخرى :

ـــ إننى لا أتشبث بشىء يا (محمود) ، ولكن حاول أن تجد تفسيرًا لهذه العبارة .. لقد استيقظت من نومى لأجدها على شاشة الجهاز ، دون أن يدخل أى مخلوق إلى الحجرة ، سوى الدكتور (حجازى) ، الذى فوجئ بوجودها أيضًا ، فمن كتبها إذن ؟

أجابها فى حزم :

ـــ لو سألت (رمزى) هذا السؤال ، لأجاب بأنك أنت فعلت يا (سلوى) .

تراجعت هاتفة فى ذهول :

ـــ أنا ؟!.. هل تتهمنى بتلفيق هذا ؟

أجابها فى حدة :

ـــ لا يا (سلوى) .. لست أتهمك ، ولكننى أقول إنك فعلت هذا دون شعور منك ، فى أثناء نومك .. لقد دفعك عقلك الباطن إلى كتابتها ، فى محاولة لإقناع نفسك بأن ابنتك لا تزال على قيد الحياة .. أراهن أنك كنت تحلمين بها ، قبل أن يحدث هذا .. أليس كذلك ؟

اتسعت عيناها فى هلع ، دون أن تجيب :

إنه على حق..

لقد كانت تحلم بها قبل هذا..

فهل هى التى كتبت هذه العبارة؟..

قبل أن يجيب عقلها عن السؤال، ارتفعت ضجة قوية فى المكان، ودوى صفير الإنذار، فهتف الدكتور (حجازى):

ـــ يا إلهى!.. إننا نتعرّض إلى هجوم عنيف.

اندفع إلى شاشة الراصد، و(محمود) يقول:

ـــ من الواضح أنه هجوم قوى للغاية. فكلّ أجهزة الإنذار تنطلق فى آن واحد.

أشعل الدكتور (حجازى) شاشة الراصد، وهو يهتف:

ـــ تُرى هل عاد الغزاة مرة أخرى؟ أم..

بتر عبارته بغتة، وهو يحدّق فى الشاشة بذهول، واتسعت عينا (محمود) فى ذعر، فى حين هتفت (سلوى):

ـــ يا إلهى!.. مستحيل!

فقد نقلت إليهم شاشة الراصد صورة ذلك المهاجم الشرس، الذى لم يكن سوى حارسهم الأمين..

(س ١٨).

* * *

٦ ـ الأشرار..

التقط الدكتور (رشاد) علبة طعام محفوظ، وهو يتنهّد، ويتطلّع إلى علبة أخرى، بقيت منفردة، داخل دولاب الطعام، وقال:

ـــ ها هى ذى العلبة قبل الأخيرة.. يبدو أنك تسرف فى تناول الطعام يا (رشاد).

فتح العلبة بأداة قديمة، بدأ الصدأ يرسم توقيعه على أطرافها، وأفرغ نصف محتوياتها فى حرص شديد، وهو يقول:

ـــ حذار من استهلاك الطعام فى كثرة، فلا أحد يعلم متى تأتى النجدة.

كانت كمية الطعام أمامه ضئيلة للغاية، ولكنه راح يلتهمها فى بطء، وهو يغمغم:

ـــ هيا، فلنحرص أشدّ الحرص على الطعام، وإلا اضطررنا للخروج، وأصبحنا طعامًا لهؤلاء الوحوش.

انتهى من تناول كمية الطعام الضئيلة فى دقيقة واحدة،

وربّت على معدته، وهو يشعر بالجوع، ثم تنهّد مرة أخرى، وقال:

ـ لا بأس.. كثرة الطعام تسبّب عشرات الأمراض.

نهض فى توتر، يدير عينيه فيما حوله، ثم اتجه إلى جهاز الإرسال اللاسلكى، الذى صنعه مؤخرًا، وربّت عليه، قائلًا لنفسه:

ـ تُرى متى يأتى (نور) ورفاقه، لإخراجى من هنا؟.. هل ينجحوا فى هذا، أم تضمنا معًا قائمة طعام واحدة، على مائدة أكلة البشر هؤلاء؟

لم يستطع مقاومة ذلك القلق المتصاعد فى أعماقه، فجلس أمام جهاز الإرسال، وضغط أزراره، ثم أمسك سماعة، وقال:

ـ هنا الدكتور (رشاد).. ما زلت فى انتظار النجدة.. ما زلت فى انتظار النجدة.

كرّر هذه العبارة عدة مرات، حتى أصابه السأم، فأغلق جهاز الإرسال، دون أن ينتظر جوابًا، وقال:

ـ الآن ليس أمامى سوى الانتظار.

وزفر فى عمق، مستطردًا:

ـ كالمعتاد.

* * *

ساد الصمت لفترة طويلة، داخل سيارة (نور)، وهى تعبر الطريق الصحراوى القديم، وإن بدا ركابها الثلاثة شديدى اليقظة والانتباه، يراقبون الطريق فى حرص وحذر، و(أكرم) يضع إصبعه على زناد بندقيته الليزرية طوال الوقت، فى تأهّب تام، حتى بلغت السيّارة مشارف (الاسكندرية)، فقال (أكرم) فى هدوء:

ـ احترس وأنت تدخل المدينة، فعلى عكس الصحراء، تكتظ المدن بهذه الوحوش الآدمية.

قال (نور) فى غلظة:

ـ لا تنس أن هذه الوحوش الآدمية مجرّد ضحايا. لقنبلة أطلقها إمبراطور الغزاة. قبل رحيله.

هزّ (أكرم) كتفيه، وقال:

ـ ليس المهم أن أقتنع أنا بهذا، بل أن يقتنعوا هم.

همّ (رمزى) بمناقشة (أكرم)، لولا أن أصدر محرّك السيارة صوتًا مزعجًا، وترجرجت السيارة عد مرات، فأوقفها (نور)، وهو يقول:

ـ لقد نفد الوقود.. يبدو أننى لن أعتاد أبدًا قيادة هذه السيارات القديمة، التى تحتاج إلى الوقود باستمرار، بعد

قيادى السيارات الصاروخية ، ذات الوقود النووى ، الذى لاينضب أبدًا تقريبًا .

قال (أكرم) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ هناك أمور عديدة ينبغى أن تعتادها يا بطل التحرير .

ثم حمل وعاء الوقود ، وهو يستطرد :

ـــ أظن هذا هو الوقود الاحتياطى .. أليس كذلك ؟

غادر (رمزى) السيّارة ، وهو يقول :

ـــ بلى .. هو كذلك .

خرج (أكرم) من السيارة بدوره ، وهو يحمل وعاء الوقود ، وقال ساخرًا :

ـــ أتظنان أن هذا الوقود يكفى رحلتى الذهاب والعودة .

أجابه (نور) فى خشونة :

ـــ هذه كل كمية الوقود ، التى أمكننا الحصول عليها .

هتف فى سخرية ، وهو ينزع غطاء الوقود بالسيارة :

ـــ عظيم .

وفجأة شق الهواء صفير حاد ، وانغرس رمح حاد فى وعاء الوقود ، وهتف (أكرم) :

ـــ اللعنة .

وفى نفس اللحظة رأى (نور) أحد الهمج يبرز أمامه ، حاملاً رمحًا مماثلاً ، ألقى به فى عنف نحو زجاج السيارة الأمامى ..

ونحو جسد (نور) مباشرة ..

وانحنى (نور) فى حركة غريزية حادة ، وسمع صوت تهشم زجاج السيارة ، وتناثرت بعض قطعه المكسورة عليه ، فى نفس اللحظة التى انغرز فيها الرمح فى مقعده ، فوق رأسه بسنتيمترات قليلة ، وانطلقت صرخة الهمج ، وهم يهاجمون السيارة ..

وقفز (نور) خارج السيارة ، وحطّم فك أقرب المهاجمين إليه ، بلكمة كالقنبلة ، ثم ركل ثان فى معدته ، فى نفس اللحظة التى أخرج فيها (رمزى) مسدسه ، وأطلق أشعته على عدد آخر من المهاجمين ، واندفع (أكرم) نحو السيارة ، يختطف بندقيته الليزرية ، وهو يهتف :

ـــ تبًا لكم ، أيها الوحوش الآدمية .

وانتزع البندقية فى عنف ، وانهال بأشعتها على الصدور والرءوس بلا رحمة ..

ولكن عدد المهاجمين كان هائلاً هذه المرة ..

كانوا يتوافدون بالعشرات ، حتى لقد اضطرّ (نور) إلى استخدام مسدسه ، وإطلاق النار عليهم مباشرة ..

وخُيِّل لـ(رمزى) أنه كلما سقط واحد منهم، برز بدلًا منه ثلاثة، عاودوا الهجوم فى شراسة أكثر ..

وفى هذه المرة، كان من الواضح أن المقاومة لن تجدى .. وأنها النهاية ..

* * *

شعرت (سلوى) برعب هائل، وهى تتابع على شاشة الراصد (س ١٨)، الذى أخذ يحطِّم الأبواب بقبضتيه الفولاذيتين، ويتقدَّم فى بطء نحو المقر، وتراجعت هاتفة:

ـــ ماذا أصابه؟

هتف الدكتور (حجازى):

ـــ إنه ذلك الشىء فى أعماقه .. إنه ذلك الشيطان حتمًا.

بدا (محمود) كالمأخوذ، وهو يحدِّق فى شاشة الراصد، قائلًا:

ـــ أوهى أشعة (جاما) .. إننا نجهل الكثير من تكوين هذا الآلى، وربما أفسدت قنبلة (جاما) بعضًا من آلاته.

صاحت (سلوى):

ـــ ولكنه لم يتعرّض للقنبلة مباشرة .. لقد كان معنا، داخل القاعة الإمبراطورية، عندما انفجرت القنبلة.

قال (محمود):

ـــ ولكن أشعة (جاما) لم تتلاش كلها من جو الأرض، وربّما ..

ارتجّت قاعة الاتصالات كلها، فى هذه اللحظة، وهتف الدكتور (حجازى)، وهو يتابع شاشة الراصد:

ـــ لقد اخترق (س ١٨) دفاعات المقرّ كلها، وها هوذا يتجه إلينا مباشرة.

أسرع (محمود) يلتقط جهاز اتصال صغير، وهو يقول فى توتر:

ـــ من القيادة إلى الفريق الطبى .. تراجعوا إلى المقرّ الاحتياطى .. إننا نتعرّض لهجوم شرس .. تراجعوا على الفور.

نقلت إليه شاشات الرصد ذلك التوتر، الذى ساد الجناح الطبى، وهم يتراجعون إلى المقر الاحتياطى فى فزع، ويحاولون حمل ما يمكنهم حمله من آلاتهم ومعداتهم، فى حين هوت قبضة (س ١٨) على الباب المعدنى الأخير، الذى يفصله عن حجرة الاتصالات، فهتفت (سلوى):

ـــ ألا ينبغى أن نتراجع بدورنا؟

أجابها فى توتر:



وبحركة حادة مباغتة ، انقضت قبضته على عنق (سلوى) ، التي أطلقت صرخة ذعر هائلة ..

ـ نعم .. ينبغى أن نفعل ، وأن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انهار الباب المعدنى ، تحت ضربات (س ١٨) ، الذى بدا خلفه بوجهه الأخضر الجامد ، وثوبه الأحمر الزاهى ، وصرخت (سلوى)

ـ يا إلهى !.. فات وقت الفرار ..

تراجعت مع (محمود) والدكتور (حجازى) ، فى حين اتجه (س ١٨) نحوهم مباشرة ، وهتف (محمود) :

ـ توقّف يا (س ١٨) .. توقّف بالله عليك .

ردّد (س ١٨) عبارته التقليدية :

ـ (س ١٨) فى خدمتك يا سيّدى .

ولكنه لم يتوقّف ، وإنما واصل تقدّمه نحوهم ..

وبحركة حادة مباغتة ، انقضت قبضته على عنق (سلوى) ، التى أطلقت صرخة ذعر هائلة ، عندما حملها (س ١٨) من عنقها ، وراحت تضرب الهواء بقدميها فى عنف ، وحاول الدكتور (حجازى) إنقاذها ، وهو يهتف :

ـ ماذا أصابك يا (س ١٨) ؟

ولكن (س ١٨) ضربه بيده اليسرى ضربة خفيفة ، بدت له أشبه بهراوة ثقيلة ، أصابت رأسه ، وألقته فاقد الوعى ، وهتف (محمود) فى هلع :

— ماذا أفعل ؟.. يا إلهى !.. ماذا أفعل ؟

كان يشعر بعجز هائل ، فى مواجهة الآلى الأطلنطى الخارق ، الذى تطلّع إلى عينى (سلوى) بعينين جامدتين ، حمراوين كالدم ، قبل أن يرفع يده اليسرى ، ويتراجع بقبضتها إلى الخلف ..

واتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وهى تستعيد ذلك المشهد ، الذى نقلته إليها شاشة الراصد منذ ساعات ، لـ(س ١٨) ، وهو يقتل الهمجى ..

وبدا لها موقفها شديد الشبه بذلك المشهد ..

وتعلّقت عيناها بقبضة (س ١٨) ، وهى تتراجع فى قوة ، ووجدت نفسها تصرخ :

— النجدة يا (نور) .

ثم هوت قبضة (س ١٨) ..

* * *

ارتسمت ابتسامة مزهوّة واسعة ، على شفتى الإيطالى (كارلو) ، وهو يفرقع سوطه الكهربائى فى الهواء ، فى مواجهة مجموعة الهمج المقيدين بالأغلال ، الذين انكمشوا فى رعب ، مصطفين عند الحائط ، وقال ملوّحًا بكفه :

— عظيم .. لقد أديم عملًا رائعًا أيها الجرذان الحقيرة .. لقد أصبحت هذه القلعة القديمة صالحة للسكنى .

فهقه (جيس) ، وقال :

— أخيرًا أصبحت لنا قلعة حصينة .

ثم أشار إلى الهمج ، مستطردًا :

— لاتنس مكافأة العبيد .

ابتسم (كارلو) ، قائلًا :

— وكيف أنسى هذا ؟

واتجه فى رصانة إلى صندوق معدنى كبير ، أزاح غطاءه ، والتقط من داخله قطعة لحم كبيرة ، ألقاها نحو الهمج ، هاتفًا :

— هيا .. كلوا أيها الجرذان .

اندفع الهمج نحو قطعة اللحم ، وراحوا يلتهمونها فى شراهة ، فقهقه (جيس) مرة أخرى ، وقال :

— هيا .. اطعمهم تربحهم .

كان يراقبهم فى استخفاف ، عندما اندفع (رالف) إلى القاعة ، هاتفًا :

— لقد تلقيت رسالة لاسلكية .

التفت إليه (جيس) و(كارلو) فى دهشة ، وهتفا فى آن واحد :

ــ رسالة لاسلكية ؟!

ثم عقد (جيس) حاجبيه، وقال:

ــ أتعنى أنك قد كشفت وجود مخلوق عاقل، وسط كل هذه الأطلال.

هتف (رالف):

ــ بالتأكيد .. انظرا.

وضع أمامهما ورقة مطبوعة، من أوراق الكمبيوتر، فتطلّعا إليها فى دهشة، وقال (كارلو) فى حيرة:

ــ من الدكتور (رشاد) هذا؟

برقت عينا (رالف)، وهو يقول:

ــ لو صحّ تخمينى. فهو واحد من أشهر وأذكى علماء الأشعة، فى العالم أجمع .. أعنى فى عالم ما قبل الغزو.

سأله (جيس) فى حدة:

ــ وكيف احتفظ بعقله، وسط كل هذا؟

لوّح (رالف) بذراعه، هاتفًا:

ــ ليس هذا هو المهم .. المهم أنه هنا، على بعد أمتار منا.

هتف (جيس):

ــ فليذهب إلى الجحيم.

صاح (رالف):

ــ بل فلنأت به إلى هنا.

سأله (كارلو) فى استنكار:

ــ وماذا نفعل به؟

صاح:

ــ نبنى به امبراطوريتنا.

قال (جيس) فى سخرية:

ــ أكثر من هذا.

عقد (رالف) حاجبيه، وهو يقول فى حدة:

ــ ما هذا الذى تشير إليه؟!.. أتتصوّر أننا قد أصبحنا أباطرة، لمجرّد أننا نجحنا فى السيطرة على بعض الممسوخ؟!.. لا يا رجل.. لو أنك تتصوّر هذا فأنت واهم .. إننا لن نصبح أباطرة بحق، إلا وسط عالم عاقل، يخضع لنا، ويمنحنا الإحساس بالقوة والعظمة .. لن نشعر بتفوّقنا، إلا فى وجود عالم حقيقى.

هتف (جيس) فى ازدراء:

ــ وهل سيصنع لنا (رشاد) هذا عالمنا الحقيقى؟

أجابه (رالف) فى حزم:

— بالتأكيد .

سأله فى حدة :

— كيف ؟.. أهو ساحر ؟

ابتسم (رالف) ابتسامة غامضة ، وقال :

— بل هو عالم .. عالم عبقرى ، وبعلمه نستطيع أن نصنع عالمنا ، وأن نحكمه .

لوّح (جيس) بكفه ، وقال :

— فليكن .. افعل ما يحلو لك ، ما دمت لن تتدخل فى حياتى .

وانصرف لا يلوى على شئ ، فى حين التفت (كارلو) إلى (رالف) ، وسأله :

— وكيف يمكن أن يصنع رجل واحد عالمنا ؟

ابتسم (رالف) ابتسامة غامضة مخيفة ، وهو يقول :

— اطمئن يا صديقى .

وتطلّع إلى المسخ ، مستطردًا :

— لدى خطة محكمة .

واتسعت ابتسامته أكثر ، وازدادت غموضًا .. وشراسة .

* * *

٧ — السباق ..

لم يعد هناك أمل ..

لقد تزايد عدد المهاجين فى كثرة ، وتضاعفت شراستهم ، على الرغم من طلقات الليزر ، ومقاومة (نور) و (محمود) و (أكرم) المستميتة ..

وهتف (رمزى) فى يأس :

— لا فائدة .. إنها النهاية هذه المرة .

صاح به (نور) :

— قاتل يا (رمزى) .. قاتل حتى آخر رمق .

أما (أكرم) ، فقد صرخ فى غضب :

— اللعنة !.. اللعنة !

ثم سأل (رمزى) فى حدة :

— أتحملون طعامًا ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يصدّ هجمة همجى آخر :

— بالطبع .. ستجد الكثير منه ، فى حقيبة السيارة .

توقّف (أكرم) عن إطلاق النار، والتفت فى سرعة إلى حقيبة السيارة، وفتحها بضربة عنيفة من قدمه، وتطلّع ثانية واحدة إلى قطع اللحم الجافة، والخبز الأبيض، والخضروات التى تملأ حقيبة السيارة، ثم حملها بيديه، وصاح:

— طعام .. طعام أيتها الوحوش الشرسة.

توقّف الهمج عن القتال بغتة، وتعلّقت عيونهم بالطعام الذى يحمله (أكرم)، فتابع هذا الأخير، وهو يلقى الطعام فوق السيارة، ويخرج غيره:

— طعام للجميع .. طعام طازج.

وفجأة اندفع الجميع نحو الطعام، وراحوا يتخاطفونه فى شراسة، وقد نسوا أمر (نور) و(رمزى)، اللذين تطلّعا إلى ما يحدث فى ذهول، حتى صاح بهما (أكرم):

— ابتعدا .. ابتعدا بسرعة.

أخرجتهما صيحته من ذهولهما، فأسرعا يبتعدان عن السيارة، وغمغم (نور) فى أسى، وهو يتطلّع إلى الهمج، الذين أحاطوا بالسيارة كالوحوش الجائعة، يتقاتلون من أجل قطعة لحم جافة، أو كسرة خبز:

— يا للمساكين!

تطلّع إليه (أكرم) فى سخرية، وهو يردّد:

— مساكين؟!

ثم رفع فوهة بندقيته الليزرية، وصوّبها إلى وعاء الوقود المثقوب، الذى سال منه الوقود غزيرًا، حول السيارة، وهو يستطرد:

— خطأ يا بطل التحرير .. إنهم مجرّد وحوش .. وحوش آدمية.

وأطلق أشعته على وعاء الوقود ..

واشتعلت النيران ..

جحيم هائل اشتعل دفعة واحدة، فى الأجساد، والسيارة، والطعام ..

وصرخ (نور):

— ماذا فعلت أيها التعس؟

لم ينبس (أكرم) ببنت شفة، وإنما عقد حاجبيه فى صرامة، فى حين ارتفع صراخ الهمج، وراحوا يعدون فى رعب وألم، وأجسادهم تشتعل بالنيران، وهتف (رمزى):

— إنها جريمة .. جريمة بشعة.

وجذب (نور) (أكرم) من كتفه فى عنف، وهو يهتف:

— أيها المجرم الحقير .

وكال له لكمة عنيفة ، ألقت به أرضًا ، فهتف (أكرم) فى غضب :

— أية جريمة، تلك التى تتهمنى بارتكابها ؟!

كانت الصرخات تتردّد حولهم، وعشرات الهمج يسقطون صرعى، والنيران ماتزال مشتعلة فى أجسادهم، فى حين تصاعدت رائحة شواء مفزعة، فصاح (نور)، والألم يمزّق نياط قلبه :

— ماذا تسمّى هذا؟.. أليس جريمة بشعة؟

نهض (أكرم) هاتفًا :

— كلّا أيها البطل المغوار .. أنت تسميه جريمة بشعة، أما أنا فأطلق عليه اسم الدفاع الشرعى عن النفس .

أشاح (رمزى) بوجهه فى ألم، فى حين كاد (نور) يبكى من فرط مرارته، وهو يقول :

— أى دفاع شرعى هذا؟.. إنهم مجرّد مجموعة من الجوعى، الطعام هو هدفهم الوحيد، ولقد تركونا عندما وجدوه .

— صاح (أكرم):

— وكانوا سيعودون إلينا مرة أخرى، عندما ينفد الطعام، الذى لن يكفى عددهم الضخم حتمًا، فيعودون إلى مطاردتنا، ومهاجمتنا، ونعود نحن للبحث عن وسيلة جديدة للفرار .. لا أيها البطل .. إننى أعلم مالا تعلمه أنت فى هذا الشأن .. أعرف ماسيحدث، ومايحدث فى كل مرة، ولست أختفى خلف عبارات أنيقة ومبادئ منمّقة .. إننى واقعى .. هل تفهم؟.. واقعى .

كانت الصرخات تخفت وتتلاشى، مع سقوط آخر الصرعى من الهمج، فربّت (رمزى) على كتف (نور)، وقال فى مرارة :

— إنه على حق يا (نور) .

التفت إليه (نور) فى حدة، هاتفًا :

— على حق؟!

أجابه (رمزى)، والمرارة تمتزج بالألم والأسى، فى كل حرف من حروف كلماته :

— نعم يا (نور) .. صحيح أن الصورة الجديدة تؤلمنا، وتثير حزننا وأسفنا، ولكن لابد وأن نعتادها، ونتعامل معها بواقعية، كما يقول (أكرم) .. أعلم مثلك تمامًا أن هؤلاء الهمج هم أهل الأرض، وأنهم ضحايا سلاح شيطانى رهيب، أفقدهم

عقولهم وحضارتهم، ولكن معرفتنا هذه لاتعنى شيئًا، أمام وحشيتهم، وهجومهم الشرس .. إننا أمل الأرض الأخير، كما تقول يا (نور)، ولن يتحقق هذا الأمل، إلا ببقائنا على قيد الحياة، حتى نجد الوسيلة، لإعادة الحضارة والعقول إلى البشر، على وجه الأرض، وهذا يضطرنا إلى القتل أحيانًا، والدفاع عن أنفسنا بكل وسيلة ممكنة .

هتف (أكرم) :

ــ ثم أننا لا نقتل لمجرد القتل .. إننا ندفع الضرر عن أنفسنا فحسب .

أشار (نور) إلى الجثث المحترقة، وقال فى أسى :

ــ بهذه الوحشية .

هتف (أكرم) فى حنق :

ــ وهل كانت هناك وسيلة سواها ؟

ران الصمت طويلًا على المكان، حتى قطعه (نور)، وهو يقول فى حسم :

ــ حسنًا يا رفاق .. إننى أعترف بضرورة القتال فى بعض الأحيان، ولكننى أصرّ على أن نحاول تفادى القتل والتدمير، بكل وسيلة ممكنة، وألا نلجأ إليهما إلا للضرورة القصوى،

وأن نتذكّر دائمًا أننا نواجه البشر، وليس مجرّد حيوانات مفترسة .

هزّ (أكرم) كتفيه، وقال :

ــ فليكن .. يمكننى أن أحاول هذا .

ساد الصمت لحظات أخرى، قبل أن يقول (رمزى) فى تردّد :

ــ والآن ماذا يمكننا أن نفعل، بعد أن فقدنا السيارة والوقود والطعام ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ وماذا تتوقع أن نفعل يا عزيزى (رمزى) ؟

وأشار إلى الطريق الممتد أمامه، مستطردًا فى حزم :

ــ سنواصل رحلتنا .

وكان فى قوله الكفاية ..

* * *

انتفض جسد (محمود)، وأغلق عينيه فى قوة، عندما هوت قبضة (س ١٨) على صدر (سلوى) كالقنبلة، واستعاد ذهنه، فى جزء من اللحظة، مشهد ذلك الهمجى المسكين، الذى هوت قبضة (س ١٨) على صدره، وحطمته تحطيمًا ..

وانتظر أن يسمع الصوت نفسه ..

صوت عظام (سلوى) وهى تتهشم، تحت القبضة الفولاذية الآلية، ممتزجًا بصرخة ألم رهيبة، تنطلق من حلقها ..

ولكن هذا الصوت لم يأت ..

لم يأت أبدًا ..

وفى دهشة، فتح (محمود) عينيه، وتطلّع إلى (س ١٨)، الذى بدا جامدًا كتمثال من البرونز، قبضته اليسرى على بعد سنتيمترات من صدر (سلوى)، فى حين أحاطت قبضته اليمنى بعنقها، وهى تتعلّق بذراعه، وتقاوم لتخليص عنقها من بين أصابعه الحديدية، قبل أن تختنق ..

وهتف (محمود):

ــ حمدًا لله.

صاحت به (سلوى):

ــ انتزع نفسك من هذا الذهول يا (محمود)، وساعدنى على تخليص نفسى.

انتزع نفسه من ذهوله بالفعل، واندفع نحوها، محاولًا تخليصها، ولكن قبل أن يبلغها بخطوة واحدة، فتح (س ١٨) أصابعه بحركة مباغتة، وترك عنقها، فسقطت أرضًا، وهتف بها (محمود):



ولكن قبل أن يبلغها بخطوة واحدة، فتح (س١٨) أصابعه بحركة مباغتة، وترك عنقها، فسقطت أرضًا ..

— أأنت بخير ؟
أجابته وهى تتطلّع إلى (س ١٨) فى حذر :
— فى الوقت الحالى ، نعم .
ساعدها على الابتعاد عن الآلى الأخضر ، وهو يقول فى حيرة وتوتر :
— ولكن ماذا أصابه ؟
قالت :
— لست أدرى .. كادت قبضته تخترق جسدى بالفعل ، ولكنه توقّف بغتة ، و ... أدار (س ١٨) رأسه نحوهما فى هذه اللحظة ، فبترت عبارتها فى رعب ، وتجمّدت أطـــراف (محمود) ، وهو يتطلّع إليه فى توتر بالغ ، لم يلبث أن تحوّل إلى انتفاضة ، عندما قال (س ١٨) فجأة :
— (س ١٨) فى خدمتك ياسيّدى .
ثم استدار بجسده كله ، وغادر المكان بخطواته البطيئة القوية ، و (سلوى) تهتف من خلفه فى ذهول :
— ماذا أصابه ؟.. يا إلهى !.. ماذا أصابه ؟
وما من مجيب ..

* * *

لم يشعر الدكتور (رشاد) ، طوال الأشهر الثلاثة الماضية ، بالتوتر ، مثلما شعر به فى هذه الساعات ، بعد أن نفدت المؤن كلها تقريبًا ، ولم يعد يملك سوى علبة واحدة صغيرة ، من علب الطعام المحفوظ ، لن تكفيه لأكثر من ساعات معدودة ، لابد أن تصله النجدة خلالها ، أو تبدأ مرحلة جوع تام ، وصيام ممتد إلى مدى لايعلمه سوى الله (سبحانه وتعالى) ..
وهو لم يعد يحتمل هذا ..
إنه لم يغادر هذه القاعة المحدودة ، منذ انفجار قنبلة (جاما) اللعينة ، ولم ير ضوء الشمس لحظة واحدة ، طوال الشهور الثلاثة الماضية ، ولقد أورثه هذا الكثير من العصبية والتوتر ، وأصاب جلده بجفاف شديد ، وعظامه بوهن لم يعهده من قبل ..
ولكن ما البديل ؟..
إنه لا يستطيع مغادرة مخبئه أبدًا ..
لم يعد يملك القوة والجرأة على أن يفعل ..
لن يمكنه أن يواجه هؤلاء المسخ فى الخارج ..
لن يمكنه هذا أبدًا ..
وفجأة انتزعه من أفكاره أزيز خاص ، انطلق من جهاز إنذار صغير ، وسط الأجهزة العديدة ، التى تملأ المخبأ ، فالتفت

إلى الجهاز فى توتر، ثم اندفع نحوه، وضغط زرًا صغيرا، وهو يقول:

— من هناك؟

أتاه صوت خشن جاف، يقول فى صرامة:

— افتح المكان يا دكتور (رشاد).. لقد أتيت لنجدتك.

لم يكن صاحب الصوت يتحدث بالعربية، وإنما بـ(الاسبرانتو)(*)، كما لم تكن لهجته مما يدعو إلى الثقة أو الارتياح، فقال الدكتور (رشاد) فى توتر وحذر:

— من المتحدث؟

أجابه صاحب الصوت الخشن الجاف:

— أنا الذى أتى لنجدتك، وإخراجك من ذلك القبر الإرادى، الذى تدفن نفسك فيه باختيارك.

سأله الدكتور (رشاد) فى قلق:

— هل أرسلك (نور)؟

قال صاحب الصوت:

(*) الاسبرانتو = لغة ابتدعها (زامنهوف)، واتجه فيها إلى التبسيط، ومزج كل اللغات المعروفة بعضها ببعض، واعترفت بها بعض الحكومات، ونشرت بها مطبوعات عالمية.

— (نور)؟.. (نور) من؟

تراجع الدكتور (رشاد) كالمصعوق، وهوى قلبه بين ضلوعه فى ذعر، وهو يهتف:

— لن أفتح الباب.. لن أفتحه لك أبدا.

كم تمنى لحظتها لو أن شاشة الراصد تعمل كما ينبغى، حتى يمكنه رؤية وجه محدثه، ولكن هؤلاء الهمج عثروا على آلة الفيديو الخارجية، وحطموا عدساتها، وأفسدوا الرؤية تماما..

ولقد تصور، وهو يهتف بعبارته الأخيرة، أنه يجلس داخل حصن منيع، لن تنجح أية أسلحة باقية، بعد الغزو، على اقتحامه، ولكنه لم يكد ينطقها، حتى ارتج باب المخبأ فى قوة، مع الصوت الخشن الجاف، وهو يقول فى سخرية:

— لا داعى يا دكتور (رشاد).. سأفتحه أنا.

التصق الدكتور (رشاد) بالحائط، وهو يقول فى رعب، ضاغطًا أحد أزرار أجهزته:

— من هذا؟.. من أين أتى؟

لم يكد يتم عبارته، حتى تهاوى الباب، إثر طلقة ارتجاجية عنيفة، وظهر على عتبته رجل قوى البنية، فارع الطول، يرتدى

زيًا أشبه بأزياء رواد الفضاء ، ويحمل بندقية ضخمة ، رفعها فى وجه الدكتور (رشاد) ، وهو يقول من خلف خوذته الفضية اللامعة :

— مرحبًا يادكتور (رشاد) .. أمازلت تمتلك تلك المعلومات المتفوّقة ، عن الأشعة ؟

هتف الدكتور (رشاد) :

— من أنت؟

أشار الرجل إلى صدره ، وهو يقول :

— أنا رمز العصر الجديد ، الذى تشهد الأرض مولده يادكتور (رشاد) .. العصر الذى ستضع أنت لبنته الأولى .

غمغم الدكتور (رشاد) :

— أى رمز ؟.. وأى عصر ؟

قال الرجل ، وهو يتقدّم نحوه فى بطء :

— رمز القوة ، وعصر القوة يا رجل .

صاح الدكتور (رشاد) ، وهو يلوّح بذراعه فى خوف :

— وهل تتصوّر أننى من الممكن أن أعاونك على جعل القوة رمزًا لعصر جديد ؟.. لا يا رجل .. أنت واهم .. الرمز الوحيد الذى أؤمن به ، ليكون شعارًا لهذا العصر ، هو رمز العقل ، لا القوة .

بدا الصوت الخشن الجاف أكثر سخرية ، وهو يقترب من الدكتور (رشاد) أكثر وأكثر ، قائلاً :

— سنرى يا دكتور (رشاد) .. سنرى .

صرخ الدكتور (رشاد) :

— ابتعد عنى .

ولكن الرجل أخرج من زيه عصا معدنية صغيرة ، وضعها على صدر الدكتور (رشاد) ، وهو يكرّر :

— سنرى .

وانتفض جسد الدكتور (رشاد) فى عنف ، وجحظت عيناه فى شدة ، ثم سقط فاقد الوعى ، عند قدمى ذلك الرمز .. رمز القوة .

* * *



٨ ـ الصراع ..

على عكس ما توقع (نور) ورفيقاه، لم تكن رحلتهم، التى قطعوها سيرًا على الأقدام، عبر شوارع وأحياء (الإسكندرية)، أكثر صعوبة من رحلتهم بالسيارة، فى الطريق من (القاهرة) إلى (الإسكندرية)، وإنما كانت أيسر كثيرًا، فلم يواجهوا داخل المدينة سوى عدد من الهمج المتفرقين، يختفون بين الأطلال، ويتابعونهم فى حذر وخوف، مما جعل (رمزى) يهتف:

ـ يا إلهى!.. يبدو لى أن سيارتنا هى التى كانت تثير غضبهم، وليس نحن.

تمتم (أكرم)، وهو يراقب الأطلال فى حذر وتحفز:

ـ ربما.

أما (نور)، فقال:

ـ نظريتك تبدو لى معقولة يا (رمزى)، فلست أظن المناخ هنا يختلف كثيرًا عن المناخ فى (القاهرة)، ثم أننا لم نلتق

بجماعات الهمج، إلا فى أطراف (القاهرة)، ومشارف (الإسكندرية)، أما فى المدن، فلا يوجد سوى بعض الأفراد المتفرقين.

مط (أكرم) شفتيه، وقال:

ـ لا يا (نور).. لقد قضيت بعض الوقت، داخل أطلال المدن الصحراوية، ولم يكن الأمر شبيهًا بهذا.. أنا واثق من أنه هناك أمر عجيب يحدث هنا.

قال (نور) مبتسمًا:

ـ المهم أنه يحدث لصالحنا.

قال (أكرم) فى قلق، وهو يتلفت حوله فى توتر:

ـ من يدرى؟

لم يحاول (نور) الدخول معه فى مناقشة بلا طائل، وإنما أشار إلى ناصية الطريق، قائلًا:

ـ طبقًا للعنوان، الذى أعطانا إياه الدكتور (رشاد)، سنجد منزله عند المنعطف التالى.

غمغم (أكرم):

ـ المهم أن نجده هو.

هز (رمزى) رأسه فى أسف، قبل أن يسأل (أكرم):

— أمن المحتم أن تكون متشائمًا هكذا ، طوال الوقت ؟
أجابه (أكرم) فى خشونة :
— امنحنى سببًا للتفاؤل .
قال (نور) :
— ألا يكفيك كونك على قيد الحياة ، متمتعًا بكامل قواك العقلية ؟
هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال :
— من يدرى ، أنعمة هذه أم نقمة ؟
تمتم (رمزى) :
— يا للتشاؤم !
نطقها وهما يستديران فى المنعطف التالى ، فقال (نور) :
— ها هو ذا منزل الدكتور (رشاد) .
تطلّع الجميع إلى مدخل المنزل المتهدّم ، وقال (أكرم) فى قلق :
— لا يبدو لى أنه يوجد أحياء ، خلف هذه الأطلال .
أجابه (رمزى) :
— إنه يختفى فى مخبأ سرى ، فى قبو منزله .
اكتفى (أكرم) بهزّ كتفيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وإن

ازدادت قوة امساكه ببندقيته الليزرية ، وهو يعبر الأطلال مع (نور) و (رمزى) ، ويهبط معهما إلى حيث القبو ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى قوة ، عندما وقع بصره على باب القبو المحطّم ، وهتف (رمزى) :
— يا إلٰهى !.. لقد تعرّض الرجل لهجوم عنيف .
اندفع الثلاثة فى انفعال ، إلى المخبأ السرى ، وانحنى (أكرم) يفحص الباب المحطّم فى اهتمام ، فى حين وقف (رمزى) وسط المخبأ ، يدير عينيه فى الأجهزة العديدة ، وقال (نور) فى توتر :
— أخشى أن يكون هؤلاء الهمج قد ..
قاطعه (أكرم) فى حزم :
— لا .. إنهم ليسوا الهمج .
التفت إليه (نور) و (رمزى) فى دهشة وتساؤل ، فأضاف مشيرًا إلى الباب المحطّم :
— هذا الباب تم تحطيمه بأشعة ارتجاجية عنيفة ، وحديثة .
ردّد (رمزى) فى ذهول :
— أشعة ارتجاجية ؟!
فى حين سأل (نور) فى اهتمام :
— كيف يمكنك الجزم ؟



اندفع الثلاثة فى انفعال، إلى المخبأ السرى،
وانحنى (أكرم) يفحص الباب المحطَّم فى اهتمام ..

أجابه فى صوت واثق قوى:

ــ لقد قضيت ثلاثة أعوام من عمرى، أستخدم الأشعة الارتجاجية، فى حفر وتوسيع المناجم، ولن أخطئ أثرها أبدًا.

عقد (نور) حاجبيه، وهو يقول فى قلق:

ــ ولكن هذا يعنى أنه هناك شخص، أو أشخاص آخرون، يتمتعون بكامل عقولهم وحضارتهم، ويملكون أسلحة متطوِّرة، و ...

قاطعه (رمزى):

ــ ونوايا شريرة.

التفت إليه (نور)، يسأله فى دهشة:

ــ لماذا قلت هذا؟

لوَّح (رمزى) بكفه، قائلًا:

ــ ألديك تفسير آخر لكل هذا؟.. لقد اقتحموا المكان فى عنف، رغمًا عن إرادة الدكتور (رشاد)، وقتلوه، أو حملوه إلى مكان آخر، فهل يتصف كل هذا بالنوايا الحسنة؟

قال (نور) فى حزم:

ــ أنت على حق.

ثم رفع عينيه إلى آلة تصوير صغيرة، تتحرّك فى بطء داخل المخبأ، وأضاف:

ــ وأظن أننا نملك وسيلة، لمعرفة ما حدث بالضبط.
سأله (أكرم):
ــ أية وسيلة؟
اتجه (نور) إلى شاشة داخلية، وهو يجيب:
ــ من الواضح أن الدكتور (رشاد) قد تعمّد تسجيل لحظات الهجوم على مخبئه، واقتحامه، ومازالت آلة المراقبة الداخلية تعمل.
ضغط أزرار إيقاف الآلة، ثم قال فى حزم:
ــ وسنشاهد ماسجّلته آلة التصوير.
مضت لحظات، ثم أضيئت الشاشة، وراحت تعرض ماسجّلته آلة التصوير، منذ ضغط الدكتور (رشاد) زر تشغيلها، وحتى حمله مهاجم خارج المخبأ، وتابع الثلاثة ماتعرض الشاشة فى اهتمام بالغ، وقلق لاحدود له، وقال (رمزى):
ــ ما هذا الرجل؟.. إنه يبدو كما لو كان مخلوقًا من كوكب آخر.
قال (أكرم):
ــ ربما كان كذلك بالفعل.

هزّ (نور) رأسه نفيًا، وقال:
ــ لا.. إنه مجرّد رجل عادى، ولكنه يرتدى زيًا مبيعًا، يستخدمه حرّاس سجن القمر، عندما يضطرون لمغادرة منطقة السجن.
سأله (رمزى) فى دهشة:
ــ وما الذى أتى بهذا الزى إلى هنا؟
قال فى حيرة:
ــ لست أدرى، ولكن الحديث عن القوة، ومولد عصر جديد، يوحى بمشاكل لاحصر لها، سنواجهها منذ هذه اللحظة، لو أردنا استعادة الدكتور (رشاد).
وشرد بصره لحظة، وهو يضيف فى حزم:
ــ ومخاطر قاتلة..

* * *

«فليعد الفريق الطبى إلى مقرّه الأوّل.. لقد انتهى الخطر..».
نطق (محمود) هذه العبارة، وتنهّد فى عمق، قبل أن ينهى الاتصال، بينه وبين حجرة الفريق الطبى، مكملًا فى خفوت:
ــ مؤقتا.

التفت إليه الدكتور (حجازى)، و (سلوى) و (مشيرة)، عندما نطق الكلمة الأخيرة، ثم اتجهت عيونهم جميعًا إلى شاشة الراصد، التى تنقل صورة (س ١٨)، وقد وقف أمام باب المقرّ جامدًا كالتمثال، وغمغمت (مشيرة) فى قلق:

ـ ترى ماذا أصابه؟

هزّت (سلوى) رأسها، وقالت:

ـ لن يمكننا الجزم بهذا أبدًا، مادمنا نجهل تركيب (س ١٨).

تنهّد الدكتور (حجازى)، وهو يتطلّع إلى الشاشة، قائلًا:

ـ لو أنه بشرى، لقلنا إنه أصيب بالجنون، أو بازدواج الشخصية، فهو يتصرّف على نحو عجيب، جعله يهاجم ذلك الهمجى فجأة، ويقتله بلا رحمة، ثم يعود إلى مكانه صامتًا ساكنًا، وبعدها يهاجمنا بغتة، ويكاد يقتل (سلوى)، ولكنه يتوقّف فى اللحظة الأخيرة، ويتراجع دون مبرّر مفهوم، فما الذى يعنيه كل هذا؟

أجابه (محمود):

ـ نوع من الخلل فى أجهزته، يمنعه من إدراك الأمور على نحو صحيح.

سأله الدكتور (حجازى) فى حيرة:

ـ ولكن ما سبب هذا الخلل؟

هزّ كتفيه، قائلًا:

ـ من يدرى؟.. ربما أفسدت أشعة (جاما) بعض أجهزته الحسّاسة، أو أصابه بعض التلف، بعد آلاف السنين من العمل المتصل، أو..

قاطعه الدكتور (حجازى) فى صوت مرتجف:

ـ أو ذلك الشيء الكامن فى أعماقه.

تطلّع إليه الجميع فى صمت قلق، ثم غمغم (محمود):

ـ ربّما.

وأشار إلى المقاعد الملقاة أرضًا، وهو يستطرد، محاولًا تغيير دفة الحديث:

ـ المهم أن نزيل أثر ذلك الهجوم.

اتجهت (مشيرة) إلى أحد المقاعد، وهى تقول:

ـ سأعاونك فى هذا.

وحملت (سلوى) مقعدًا آخر، وهى تحاول الابتسام، قائلة:

— سأشارككما أيضًا .

اتجهت إلى شاشة الكمبيوتر ، لتضع المقعد أمامه ، وفجأة اشتعلت الشاشة من تلقاء نفسها ، وتراصت فوقها كلمات سريعة مقتضبة ..

وأمام عيون الجميع ، عادت نفس الرسالة تظهر على الشاشة ..

وشهقت (سلوى) فى قوة ..

واتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وهم يحدقون فى كلمات الرسالة ، التى تقول :

— أنا هنا ..

وتحمل نفس التوقيع ..

توقيع (نشوى) ..

* * *

استعاد الدكتور (رشاد) وعيه فى بطء ، وخيّل إليه أن رأسه يحمل أطنانًا ثقيلة ، انجابت عنه تدريجيًا ، ليحلّ محلّها إدراكه للواقع من حوله ، وبدأت أذناه تلتقطان مزيجًا من الأزيز والأصوات الآلية والمعدنية ، اختلط به فجأة ذلك الصوت الخشن الجاف ، وهو يقول بنفس اللغة العالمية :

— هيا يا دكتور (رشاد) .. استعد وعيك بسرعة .

فتح الدكتور (رشاد) عينيه فى بطء ، وبهره الضوء الساطع لحظات ، وصاحب الصوت يستطرد :

— من حسن الحظ أن يبقى رجل مثلك ، محتفظًا بعبقريته وخبراته ، بعد كل ما حاق بالعالم من خراب ودمار .

تمتم الدكتور (رشاد) فى صعوبة :

— من أنت ؟

فتح عينيه فى صعوبة ، وتطلّع إلى الرجل الأشقر ، المتين البنيان ، الذى تحرّك ليقف أمامه مباشرة ، وتطلّع إليه بعينيه الزرقاوين الصافيتين ، قائلاً :

— ألا تذكرنى يا دكتور (رشاد) ؟.. لقد سبق أن التقينا ، منذ ما يقرب من عشرة أعوام ، فى مؤتمر التطوير العلمى السابع ، فى (طوكيو) .

تطلّع إليه الدكتور (رشاد) فى دهشة ، قبل أن يهتف :

— مستحيل !!.. لا يمكن أن تكون أنت ...

لم يتمّ عبارته ، ولكن الأشقر فرد جسده فى اعتداد ، وتألّقت عيناه فى حزم وظفر وزهو ، وهو يقول :

— بل هو أنا يا دكتور (رشاد) .. أنا (رالف هينريش) ..

عبقرى جراحة المخ والأعصاب، والعلاج العقلى بالأشعة المتطوّرة.

هتف الدكتور (رشاد):

ـــ يا إلٰهى!.. (رالف هينريش)؟!.. ولكن كيف عدت؟.. إننى أذكر كيف حاولت السيطرة على العقول البشرية، وكيف مارست تجاربك الشريرة على مرضاك، دون الحصول على موافقتهم، فقتلت العشرات منهم، وأصبت عشرات آخرين بالجنون، مما جعل المجلس الطبى العالمى يعتبرك مجرمًا دوليًا، فتمّ إلقاء القبض عليك، ونفيك فى سجن القمر.

امتلأت ملامح (رالف) بالكراهية، وهو يقول:

ـــ نعم.. هذا ما حدث يا دكتور (رشاد).. هذا ما تعرفونه أنتم، وما تنتهى عنده القصة بالنسبة لكم، أما بالنسبة لى أنا، فقد كانت هذه هى البداية.. بداية عذاب رهيب، ذقت كل قطرة منه، طوال عشر سنوات كاملة.. لقد أصبحت سجينًا فى سجن القمر.. مجرّد سجين حقير، يختلط بعدد من أبشع مجرمى العالم، ولا يتعامل إلا معهم.

وضمّ قبضته أمام وجهه، وهو يستطرد فى مقت:

ـــ وفى كل يوم، وكل ساعة، وكل دقيقة، طوال هذه

السنوات العشر، كنت أقسم أن أنتقم، وأن أذيق العالم طعم الثأر، عندما تحين اللحظة المناسبة.

واشتعلت عيناه ببريق شرس مخيف، وهو يبتسم ابتسامة وحشية، متابعًا:

ـــ ثم حانت هذه اللحظة المناسبة، بعد انتهاء غزو الأرض، عندما ثار المسجونون، على سجن القمر، وقتلوا حراسهم، واستولوا على كل أسلحتهم ومركبتهم الفضائية.. عند هذه اللحظة أدركت أن فرصتى قد حانت، وأن ذلك الأمريكى، ورفيقه الإيطالى، اللذين بقيا معى، على قيد الحياة، سيكونان وسيلة من وسائل الانتقام، الذى أعدّ له منذ سنوات عشر، فجعلتهما يعودان معى إلى الأرض، وينشغلان بالأعمال التافهة الحقيرة، حتى أتفرّغ أنا لانتقامى.

هزّ الدكتور (رشاد) رأسه فى أسف، وقال:

ـــ من الواضح أنك تحمل فى صدرك قلبًا قاسيًا شريرًا يا (رالف)، ولكن حتى هذا لم يعد له معنى، مثل انتقامك، فلقد خسرت الأرض كلها، ولم يعد على سطحها من يمكنك توجيه انتقامك إليه.

برقت عينا (رالف) فى وحشية، وهو يقول:

— ولهذا أتيت بك .

سأله الدكتور (رشاد) فى حيرة :

— ماذا تريد منى بالضبط ؟

أشار إلى الأجهزة المحيطة به ، هاتفًا .

— أريدك أن تتعاون معى ، لنعيد إلى العالم عقله .

حدّق الدكتور (رشاد) فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلًا :

— أعترف أننى لم أعد أفهمك يا (رالف) .. إنك تؤكّد رغبتك الصارمة فى الانتقام من العالم أجمع ، وإذلاله وتحطيمه ، ولكنك — فى الوقت نفسه — تطلب مساعدتى ؛ لإنقاذ هذا العالم مما أصابه .

ابتسم (رالف) ابتسامة غامضة مخيفة ، وهو يقول :

— لن يمكنك فهمى بسهولة يا عزيزى (رشاد) .

تطلّع إليه (رشاد) لحظات فى تردد وحذر ، قبل أن يقول فى بطء :

— وماذا لو رفضت معاونتك؟

أجابه (رالف) فى صرامة :

— سأعيدك إلى حيث كنت .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

— وفى هذه المرة ، دون مخبأ يحميك .

ارتجف الدكتور (رشاد) للفكرة ، فى حين عاد (رالف) يبتسم تلك الابتسامة الغامضة المخيفة ، وهو يستطرد :

— ولك أن تختار — بكل حرية — يا دكتور (رشاد) ، إما أن تستعيد عملك كعالم من علماء الأشعة ، أو تصبح مجرّد وجبة حية ، لعدد من الوحوش الآدمية .. ماذا تختار يا دكتور (رشاد) ؟

وأدرك الدكتور (رشاد) أنه ليس أمامه سوى الاستسلام ..

الاستسلام التام .

* * *

٩ — (نشوى) ..

مالت الشمس إلى المغيب ، خلف أمواج البحر المتلاحقة ، وامتد أمامها طريق ضوئى طويل ، يتراقص مع تموجات الماء ، وتمتزج فيه أضواء الشفق والغروب ، بمياه البحر الزرقاء ، وزبد الأمواج الأبيض ، ويرتطم معها بالشاطئ الرملى القصير ، الذى تناثرت فوقه أطلال كبائن الشاطئ القديمة ، وألقت ظلالها الطويلة على طريق الكورنيش المتهدم ، وعلى وجوه الرفاق الثلاثة ، الذين يسيرون بمحاذاة سور الكورنيش القديم فى حذر ، وقال (رمزى) فى قلق :

— إلى أين نتجه يا (نور) ؟

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى حيث تغرب الشمس :

— إلى الغرب .

سأله (أكرم) فى حدة :

— ولماذا إلى الغرب بالذات ؟.. إننا نجهل موقع هؤلاء الذين اختطفوا الدكتور (رشاد) ، فلِمَ لا يكونون فى الشرق ، أو فى الجنوب ؟

أجاب (نور) فى هدوء :

— لأنك لم تلحظ ما لاحظته أنا يا (أكرم) .

هتف (أكرم) فى حدة ، تمتزج بشىء من السخرية :

— وما الذى لاحظته أيها العبقرى ؟

أجابه (نور) ، دون أن يبدى اهتمامًا بأسلوبه :

— لاحظت أن الكثافة البشرية تتناقص بالتدريج ، كلما اتجهنا إلى الغرب ، كما أن جميع من التقينا بهم من الهمج يتحركون فى اتجاه الشرق ، كما لو كانوا يفرّون من شىء ما فى الغرب .

عقد (أكرم) حاجبيه مفكرًا ، ثم قال :

— تفسير معقول .

قال (رمزى) فى اهتمام :

— من الواضح أن ذلك الشىء ، الذى يفرّون منه فى الغرب ، يسبّب لهم رعبًا شديدًا يا (نور) ، وهذا يفسّر تحاشيهم لنا ، وخوفهم الزائد منا ، فنحن نشبه هؤلاء الذين اختطفوا الدكتور (رشاد) ، والذين يرهبونهم كثيرًا .

قال (نور) ، وهو يفكّر فى شرود :

— ولكن من هؤلاء ؟ ومن أين أتوا ؟.. إننا نرسل إشاراتنا إلى جميع أنحاء العالم ، منذ رحيل الغزاة ، وعلى الرغم من هذا لم

نعلق سوى تلك الإشارة، التى أرسلها الدكتور (رشاد)، ثم إن ما سجّلته آلة التصوير والمراقبة، فى مخبأ هذا الأخير، يؤكّد أن الهجوم عليه تمّ، منذ أقلّ من ساعتين، فما تفسير كل هذا؟

رفع (أكرم) بندقيته الليزرية فى حزم، وهو يقول:

ــ تفسيره أننا سنخوض حربًا عنيفة، لو كنا نصرّ على استعادة هذا العالم، الذى أتيتم من أجله.

توقّف (نور) فجأة، وهو يتطلّع إلى الغرب، قائلًا:

ــ أظن أنه هناك تفسير آخر.

سأله (رمزى) فى اهتمام:

ــ ما هو؟

أخرج (نور) منظاره المقرّب، وهو يشير إلى قلعة (قايتباى)، التى تبدو من بعيد، مجيبًا:

ــ لم أتأكّد بعد.

أدار (أكرم) و(رمزى) عيونهما إلى حيث يشير (نور)، فى حين وضع هو المنظار المقرّب على عينيه، وأخذ يراقب القلعة فى اهتمام بالغ، وقال (أكرم)، وهو يحاول تركيز بصره على المشهد البعيد:

ــ ما هذا؟

قال (رمزى) فى انفعال:

ــ إنه يبدو لى أشبه بسفينة فضاء كبيرة.

هتف (أكرم):

ــ سفينة فضاء؟!.. إذن فقد كنا على حق.. إنهم مخلوقات من كوكب آخر.

امتلأ قلب (رمزى) بالرعب، وهو يتصوّر حدوث غزو جديد، ولم تمض بعد ثلاثة شهور، على رحيل الغزاة السابقين، وغمغم فى ارتياع:

ــ يا إلهى!

ولكن (نور) قال فى هدوء:

ــ اطمئن يا (رمزى).. إنهم ليسوا غزاة من كوكب آخر.

هتف (رمزى):

ــ ما تفسير وجود سفينة الفضاء هذه إذن؟

ناوله (نور) منظاره الفائق القوة، وهو يقول:

ــ انظر إليها جيّدًا، وستجد فوقها شعارًا عالميًا شهيرًا.

وضع (رمزى) المنظار على عينيه، وقال:

ــ إنه شعار الأمم المتحدة، وأسفله شعار آخر.. يا إلهى!.. أهو ذلك الشعار بالفعل يا (نور)؟

اختطف (أكرم) المنظار فى حدة، وهو يقول:

— أى شعار يعنى هذا؟

فى حين أجاب (نور) سؤال (رمزى)، قائلًا:

— نعم يا (رمزى).. إنه نفس الشعار.. شعار سجن القمر.

امتلأت نفس (رمزى) بقلق خفى، وهو يقول:

— ما الذى يعنيه هذا يا (نور)؟

أجابه (نور):

— يعنى أن خصومنا هم مجموعة من أعتى مجرمى الأرض يا (رمزى)، وأن الصراع سيتخذ منذ هذه اللحظة صورة جديدة.

ثم أدار عينيه إلى حيث تغرب الشمس، مستطردًا فى حزم:

— وسيكون علينا أن نقاتل بإصرار أكثر يا (رمزى).. من أجل الأرض.. ومن أجل الحق..

وغابت الشمس فى الأفق..

* * *

اتسعت عينا (سلوى) فى ذهول، وهى تحدق فى شاشة الكمبيوتر، ثم لم تلبث أن هتفت فى انفعال جارف:

— أرأيتم؟!.. إنها ابنتى.. إنها (نشوى).

واندفعت نحو شاشة الكمبيوتر، وراحت تتحسسها فى لهفة، كما لو كانت ابنتها، وهى تستطرد:

— إنها حية.. إنها لم تمت.. أرأيتم.. إنها لم تمت.

التفتت إلى العيون الذاهلة، صائحة:

— لقد رأيتم ما حدث بأنفسكم.. أليس كذلك؟

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، وهم يحدقون فى شاشة الكمبيوتر فى ذهول..

كان من المستحيل أن يصدق أحدهم ما حدث، على الرغم من أنهم قد رأوه بأعينهم..

كان من المستحيل أن يقتنعوا به..

إنه معجزة..

معجزة حقيقية..

لقد رأوا جميعًا (نشوى) تلقى مصرعها، مع انفجار قرص الطاقة الرهيب، والموتى لا يعودون إلى الحياة..

لا يعودون أبدًا، قبل يوم البعث..

ولكن ما تفسير تلك الظاهرة الخارقة، التى شاهدوها بأعينهم؟!..



اتسعت عينا (سلوى) فى ذهول، وهى تحدّق فى شاشة الكمبيوتر، ثم لم تلبث أن هتفت فى انفعال جارف: — أرأيتم؟!.. إنها ابنتى.. إنها (نشوى)

وصرخت بهم (سلوى) مرة أخرى:

— لقد رأيتم ما حدث.. أليس كذلك؟

كان الدكتور (حجازى) هو أوّل من تحدّث، قائلًا:

— بل يا (سلوى).. لقد شاهدنا ما حدث.

تفجّرت الدموع من عينيها، وهى تقول:

— إنها على قيد الحياة.. إنها على قيد الحياة.

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفها فى إشفاق، قائلًا:

— لا تتسرّعى بالأمل يا (سلوى).

تراجعت فى حدة، هاتفة:

— لا أتسرّع؟!.. ماذا تقول يا دكتور (حجازى)؟.. لقد شاهدت بنفسك ما حدث.

قال فى تعاطف:

— هذا ليس دليلًا على كونها على قيد الحياة يا (سلوى).

صاحت مستنكرة:

— أى قول هذا؟!.. وماذا يكون ما حدث، لو لم يكن دليلًا على كونها على قيد الحياة؟

قال (محمود) فى تردّد:

— ربما كان مجرّد برنامج كمبيوتر يا (سلوى).

صاحت :

ــ ومن وضعه ؟

تردّد مرة أخرى ، قبل أن يشيح بوجهه ، مغمغمًا :

ــ أنت يا (سلوى) .

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

ــ أنا ؟!

أجابها فى سرعة ، قبل أن يفقد قدرته على شرح ما لديه :

ــ نعم يا (سلوى) .. أنت .. لو كانت نظريتى صحيحة ، بالنسبة للمرة الأولى ، التى ظهرت فيها هذه الرسالة ، على شاشة الكمبيوتر . وكنت أنت التى وضعت برنامجها ، فى أثناء نومك ، فمن السهل أن يضاف إلى البرنامج أمر بسيط ، يجعل الكمبيوتر يكرّر الرسالة ، كل فترة زمنية محدودة .

صاحت فى غضب :

ــ لا يا (محمود) .. أنا لم أفعل هذا .

قال الدكتور (حجازى) فى خفوت :

ــ ربّما يا (سلوى) .. ولكن حتى هذا لا يعدّ دليلًا على حياة (نشوى) .

صاحت فى مرارة :

ــ لماذا تحاربون الفكرة ؟

أجابها الدكتور (حجازى) فى عطف :

ــ لسنا نحاربها يا (سلوى) ، ولكننا نحاول منعك من الاستسلام لها .

هتفت مختنقة :

ــ حتى ولو لم أكن أنا واضعة هذا البرنامج ؟

أجابها مشفقًا :

ــ نعم يا (سلوى) .. حتى لو كان هذا البرنامج من صنع قوة مجهولة ، فعلى الرغم من تطوّر العلوم ، فى السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، والسنوات الأولى من القرن الحادى والعشرين ، فلا يوجد عالم واحد ، فى الكون كله ، يمكنه أن يدّعى معرفته لأسرار الروح ، والموت والحياة .

سألته حائرة متوترة :

ــ ماذا تعنى ؟

أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلًا :

ــ أعنى أنه ربّما يكون ما شاهدناه ظاهرة خارقة للمعتاد ، وربما كانت روح (نشوى) هى التى دفعت الكمبيوتر للعمل على هذا النحو ، ولكن هذا لا يعنى أنها على قيد الحياة .

همّت بالاعتراض، ولكنه أسرع يكمل:

ــ وربما كان كل ما أقوله مجرّد هراء.. من يدرى؟

صمتت لحظات، شاركها الجميع خلالها صمتها، ثم رفعت رأسها فجأة فى اعتداد، وقالت:

ــ لا يا دكتور (حجازى).. قلبى يؤكّد لى أن ابنتى على قيد الحياة.

ثم أشارت إلى الكمبيوتر، مستطردة فى حزم:

ــ ويمكنكم فحص برنامج الكمبيوتر، للتأكّد مما أقول.

تبادلوا نظرة مشفقة، قبل أن يغمغم (محمود):

ــ حسنًا.. سأفحصه.

اتجه إلى الكمبيوتر مباشرة، وضغط أزراره فى اهتمام، طالبًا فحص البرنامج..

ولكن الكمبيوتر لم يستجب..

كان يرفض الإفصاح عن برنامجه رفضًا عنيدًا، جعل (محمود) يغمغم:

ــ عجبًا!.. هذا البرنامج..

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام:

ــ ماذا به؟

تردّد (محمود) لحظة، ثم قال فى حيرة:

ــ هذا البرنامج مزوّد بقفل سرى خاص، يمنع الاطلاع على برنامجه، أو حتى إلغاءه، قبل أن تحين لحظة اختفائه من الشاشة.

والتفت إلى الجميع، مستطردًا:

ــ وهذا ليس بالبرنامج التقليدى.

سألته (مشيرة) فى انفعال:

ــ وما الذى يعنيه هذا؟

غمغم متوترًا:

ــ لست أدرى، ولكن من المؤكّد أن (سلوى) لا يمكنها وضع مثل هذا البرنامج.. لا يمكنها هذا حتمًا.

ران صمت تام على المكان، وقد تركت عبارة (محمود) خلفها علامة استفهام ضخمة..

وأملًا غامضًا..

* * *

وقف الدكتور (رشاد) يتطلّع طويلًا، إلى لوح من الورق الأبيض، وضع (رالف) فوقه خطته العلمية، لإعادة عقول البشر إلى ما كانت عليه، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه، قائلًا:

— هذه الخطة تبدو لى عنيفة أكثر مما ينبغى .

أجابه (رالف) فى هدوء ، وهو يرتدى قفازين مطاطيين ، من قفازات الجراحة :

— ولكنها علمية تمامًا .

قال الدكتور (رشاد) :

— من وجهة نظرك ، فأنت تعتمد على فحص المخ البشرى ، للمصابين بقنبلة (جاما) ، ومعرفة الجزء الذى تأثر بالأشعة ، وأفقدهم عقولهم ، وبعدها تجرى تجاربك على هذا الجزء بالذات .

قال (رالف) فى برود :

— ألا يبدو لك هذا أسلوبًا علميًا ؟

أجابه الدكتور (رشاد) :

— من الناحية النظرية فحسب ، أما من الناحية العملية ، فهو أسلوب عسير التنفيذ ، إذ من أين لك بكل هذه الأعداد من الأمخاخ البشرية ، لتفحصها وتدرسها كما يحلو لك ؟

قال (رالف) فى سخرية :

— عجبًا !.. كنت أظنها أبسط نقاط الخطة ، وأيسرها .

واتجه إلى دولاب ضخم ، وفتحه على مصراعيه ، مستطردًا :

— فلدى هنا كل ما أحتاج إليه .

اتسعت عينا الدكتور (رشاد) فى ذهول ، وهو يحدّق فى الدولاب ، الذى لم يكن فى الواقع سوى برّاد ضخم ، يحوى عددًا من الأجساد البشرية المجمّدة ، فهتف الدكتور (رشاد) فى جزع :

— أهم موتى ؟

أجابه (رالف) بلا مبالاة :

— بل أحياء لقد عرّضتهم للتجميد المباغت ، بوساطة النيتروجين السائل ، حتى أحتفظ بهم فى معملى ، وأجرى تجاربى عليهم فى هدوء .

هتف الدكتور (رشاد) :

— ولكن انتزاع أمخاخهم ، والعبث بها ، سيقتلهم حتمًا .

هزّ (رالف) كتفيه فى استهتار ، وقال :

— وماذا فى هذا ؟.. إنهم مجرّد همج .

صاح الدكتور (رشاد) فى غضب :

— ولكنهم بشر .

صاح به (رالف) فى صرامة :

— إنهم مجرّد حيوانات تجارب ، لبلوغ ما أسعى إليه .

ثم جذب جسدًا بشريًا، ووضعه فوق مائدة الفحص، مستطردًا فى حزم:

ــ ولن يوقفنى مخلوق واحد .. هل تفهم؟

وحمل قاطعًا ليزريًا صغيرًا، وبدأ يثقب الجمجمة البشرية لذلك الهمجى، فأشاح الدكتور (رشاد) بوجهه فى اشمئزاز، وغمغم:

ــ عليك اللعنة أيها الوحش المجنون!

ثم اتجه إلى جهاز كمبيوتر قريب، وراح يجرى تجاربه الخاصة بدراسة تأثير أشعة (جاما) ..

كان يشعر بتوتر بالغ، فى كل خلية من خلايا جسده، وهو يعمل، محاولًا إلهاء نفسه عن تلك المجزرة، التى تحدث خلفه، ولكنه عجز تمامًا عن التركيز، وبدأت معادلاته تتسم بالسطحية والتخبّط، مما جعله يتوقّف عن العمل، ويغمغم فى سخط:

ــ اللعنة!

أتاه صوت (رالف)، وهو يقول:

ــ لا تستسلم إلى اليأس فى سرعة .. إننى أحقّق هنا تقدمًا ملحوظًا.

سأله فى اهتمام، دون أن يلتفت إليه:

ــ ما الذى توصّلت إليه؟

أجابه (رالف)، وهو يفحص أجزاء المخ فى عناية.

ــ من الواضح أن تأثير أشعة (جاما) على الفصّ الأيسر للمخ، أكثر منها على الفص الأيمن، لهذا كان تأثيرها على قدرة هؤلاء الهمج على الكلام قويًا(*) ولكنه ليس عميقًا كما كنت أتصوّر، فلا توجد تشوهات بخلايا المخ، ولا بالمخيخ، وكل الأعصاب المخية سليمة، وكذلك قشرة المخ، ولكن النشاط الإشعاعى للجمجمة مرتفع.

سأله الدكتور (رشاد) فى اهتمام بالغ، وقد جذبه الأمر فى شدة:

ــ أهو مرتفع أكثر مما ينبغى؟

هزّ (رالف) كتفيه، وقال فى سخرية:

(*) يقع مركز الكلام فى النصف الأيسر من المخ، بالنسبة لأولئك الذين يستخدمون أيديهم اليمنى، ويُطلق عليه علميًا اسم (منطقة بروكا)، نسبة إلى العالم الذى كشف وجودها لأوّل مرة، وإصابات النصف الأيسر من المخ، تؤدى عادة إلى إصابة مركز الكلام، والإصابة بخرس دائم أو مؤقت.

— ومن أدرانى ؟.. إنه عملك أنت .

ثم نزع قفازيه المطاطيين، وألقاهما فوق جثة الهمجى فى لامبالاة، وأشعل سيجارته، وهو يستطرد :

— يمكنك أن تفحص النشاط الإشعاعى للجمجمة .

غمغم الدكتور (رشاد) :

— سأحاول .

سأله (رالف) فجأة، وهو ينفث دخان سيجارته :

— من (نور) هذا ؟

ارتجف الدكتور (رشاد) للسؤال، وقال فى توتر :

— أى (نور) ؟

جلس (رالف) على مقعد قريب، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى، وهو يتأمل الدكتور (رشاد) بعين فاحصة، ويقول فى بطء :

— عند اقتحامى مخبئك، سألتنى : هل أرسلك (نور) ؟.. فمن هو (نور) هذا ؟.. وكيف احتفظ بعقله، بعد انفجار قنبلة (جاما) ؟

أجابه (رشاد) فى حذر :

— إنه الرائد (نور).. ضابط مخابرات علمية مصرى سابق، و ...

قاطعه (رالف)، وهو يعتدل فى انفعال :

— الرائد (نور).. أتقصد ذلك الذى قاد حركة مقاومة الغزاة، طوال الفترة السابقة ؟

سأله الدكتور (رشاد) فى دهشة :

— كيف عرفت هذا ؟

ابتسم (رالف) ابتسامة شرسة، وقال :

— كان لدينا راصد أرضى قوى على القمر يا رجل، ومن حسن حظنا أن تجاهله الغزاة تمامًا، عندما احتلوا الأرض، فسمح لنا بمتابعة كل ما يحدث .

ثم تراجع فى مقعده، وشرد ببصره، وهو ينفث دخان سيجارته، مستطردًا :

— الرائد (نور) !.. يا لحظى الحسن !

سأله الدكتور (رشاد) فى قلق :

— هل تعرفه ؟

مطّ (رالف) شفتيه، وقال :

— ليس بصفة شخصية، ولكننى راقبت عمله جيدًا، عندما حضر مع فريقه إلى سجن القمر، منذ عدة أعوام .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة، وهو يستطرد :

— ومن المؤكد أنه سيكون خصمًا مناسبًا ، يحلو لى أن أقاتله .

وتلاشت ابتسامته بغتة ، وحلت محلها نظرة وحشية شرسة ، وهو يستطرد :

— وأن أسحقه سحقًا .

وأدرك الدكتور (رشاد) أنه أمام رجل مجنون .. وقاتل وحشى .

* * *



١٠ — الرمز .. والقوة ..

مضت لحظات ثقيلة من الصمت ، داخل مقر القيادة السرى ، والجميع يتطلعون إلى بعضهم البعض ، بعد أن ألقى (محمود) عبارته الأخيرة ، ثم هتفت (سلوى) فى لهفة مشوبة بالأمل :

— إذن فأنت توافقنى يا (محمود) .. أليس كذلك ؟.. أنت أيضًا تعلم أن (نشوى) وحدها يمكنها وضع مثل هذا البرنامج .

أجابها فى حيرة وتوتر :

— كل ما أستطيع قوله هو أنك لست واضعة هذا البرنامج حتمًا .

قالت (مشيرة) فى حزم :

— وأنا لا أؤمن بنظرية الأرواح هذه .

التفت إليها الدكتور (حجازى) ، وسألها :

— ألديك تفسير آخر ؟

صمتت لحظة، قبل أن تقول فى حدة :

ــ لا .. لست أملك تفسيرًا .

ثم استدركت فى سرعة وعناد :

ــ ولكننى أملك فكرة .

رفع (محمود) عينيه إليها، وقال :

ــ مجرَّد فكرة؟

قالت فى عصبية :

ــ هذا كل ما أملكه، فلست خبيرة علمية مثلكم .. إننى مجرَّد مذيعة فيديو سابقة .

ابتسم الدكتور (حجازى)، وهو يقول :

ــ لا بأس يا بنيتى .. هاتى ما لديك .

ازدردت لعابها فى توتر، وقالت :

ــ فكرتى تقول إن أحدًا منا لم يشاهد مصرع (نشوى) بعينيه .

تألقت عينا (سلوى) فى لهفة، فى حين قال (محمود) فى اهتمام :

ــ ماذا تعنين؟

أجابته فى توتر :

ــ أعنى أن كل ما شاهدناه هو ضوء مبهر، يشبه ألف شمس، انبعث فجأة من قرص الطاقة، ومن مركبة (بودون)، ثم تلاشى الاثنان دفعة واحدة، وكانت (نشوى) داخل المركبة، ولكن أين ذهبا؟.. هذا ما نجهله جميعًا.

سألها (محمود) فى اهتمام :

ــ وأين يمكنهما الذهاب فى رأيك؟

لوَّحت بيدها، قائلة :

لست أدرى .. قلت لكم إننى لست خبيرة علمية، ولكن السؤال الذى يقلقنى، منذ حدث هذا، هو : كيف لم تبق ذرة واحدة من المركبة والقرص، بعد هذا الانفجار؟

أجابها (محمود) :

ــ لقد كانت الطاقة هائلة، لا يمكن تصوّرها، أو ..

قاطعته (سلوى) فى لهفة :

ــ وهذه نقطة بالغة الأهمية يا (محمود) .

التفت يسألها :

ــ ماذا تعنين يا (سلوى)؟

كانت مفعمة بالانفعال، وهى تجيب :

ــ أعنى أن كمية الطاقة، التى تعرّضت لها (نشوى)،

كانت أضخم من أية كمية تمت دراستها من قبل، حتى طاقة القنابل النووية، وطاقة الشمس نفسها، وهذا يعنى أننا نجهل تماما ما الذى يمكن أن يحدث، لجسم امتص كل هذا القدر، هل يفنى، أم يتحول بدوره إلى صورة أخرى من صور المادة، أو إلى طاقة صافية؟

تدخل الدكتور (حجازى) قائلا:

ــ وحتى لو حدث هذا أو ذاك.. ألا يعنيان أن (نشوى) قد لقيت مصرعها؟

هتفت به (سلوى):

ــ لا يا دكتور (حجازى).. إننا علميون، ولا يمكننا إصدار نتائج حازمة حاسمة، دون دراسة الأمور على نحو تام.

والتفتت إلى (محمود)، مستطردة فى انفعال:

ــ ونحن لم ندرس الأمر كما ينبغى يا (محمود).. أليس كذلك؟

أجابها فى حماس:

ــ بالتأكيد.. لقد افترضنا مصرع (نشوى)، ولم نحاول افتراض العكس.

ثم اعتدل، وأشار إلى الكمبيوتر، مستطردا:

ــ ولكن الوقت لم يفت بعد، ويمكننا دراسته الآن.

اندفعت نحو الكمبيوتر، هاتفة:

ــ لن أضيع لحظة واحدة.. لن أضيع لحظة واحدة.

قال الدكتور (حجازى) فى قلق:

ــ ولكنكما تجهلان كل شىء عن كمية الطاقة، التى امتصتها مركبة (بودون).

أجابته (سلوى)، وأصابعها تجرى فى سرعة وخفة، فوق أزرار الكمبيوتر:

ــ سنفترض أكبر كمية يمكن تصورها يا دكتور (حجازى)، وسنضاعفها باستمرار، حتى نتوصل إلى..

ارتج المكان كله بغتة فى عنف، فتوقفت (سلوى) عن عملها، واعتدلت قائلة فى توتر:

ــ ما هذا؟

قفز (محمود) يشعل شاشة الراصد، وهو يقول:

ــ أخشى ما أخشاه أن..

قبل أن يتم عبارته، كانت الشاشة قد بدأت عملها، وحملت إليه صورة واضحة لـ (س ١٨)، وهو يعاود هجومه على المقر، فهتفت (مشيرة) فى رعب:

— يا إلهى !.. لقد عاودته نوبة الجنون .

لم يضع (محمود) لحظة واحدة، وهو يندفع نحو جهاز الإنذار، هاتفًا :

— ربّاه .. متى ينتهى هذا الكابوس ؟

وضغط زر الإنذار والاتصال، وهو يقول للفريق الطبى :

— إنذار .. إنذار .. إننا نتعرّض لهجوم جديد .. انتقلوا على الفور إلى المقرّ الاحتياطى

نقلت إليه شاشة الراصد حالة توتر شديدة، تسود جناح الفريق الطبى، وصوت قائد الفريق الطبى، وهو يقول فى عصبية واضحة :

— لايمكننا الانتقال إلى المقر الاحتياطى .. الأبواب لاتستجيب، ولايمكن فتح أبواب الطوارئ.

تراجع (محمود) هاتفًا :

— ماذا ؟

ثم التفت إلى (سلوى)، وقال فى انفعال :

— اختبرى أبواب الطوارئ.

ارتجّ المكان فى عنف مرة أخرى، وهى تسرع إلى أجهزة الاختبار، وتحرّك أصابعها فوقها فى سرعة، قبل أن تهتف فى شحوب :

— يا إلهى !.. كل الأبواب لاتعمل .. إننا سجناء هنا .

تعلّقت عيون الجميع بشاشة الراصد، التى تنقل صورة (س ١٨)، وقد تراجع عن الأبواب، وهمست (مشيرة) فى رعب :

— لقد سجنتنا هنا .

قال الدكتور (حجازى)، وصوته يحمل كل انفعاله :

— ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

رأوا (س ١٨) يرفع قبضته فى مواجهة المقرّ السرى، فتألق قبضتاه ببريق أخضر رهيب، جعل (سلوى) تتراجع صارخة :

— يا إلهى !.. إنه سيستخدم طاقة البروتون .. سينسفنا نسفًا .

هوت قلوبهم بين أقدامهم، وتعلّقت عيونهم بالقبضتين المتألقتين، وبريقهما الأخضر القاتل، وأدركوا جميعًا أن النهاية قد حانت ..

نهايتهم ..

* * *

أبرز (أكرم) رأسه من بين الأطلال فى حذر، وأشار إلى

سفينة الفضاء الضخمة ، التى تقف شامخة ، إلى جوار قلعة (قايتباى) ، وقال :

ــ ها هو ذا شبح هذا العصر .

تأمل (رمزى) السفينة فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ــ ليس من العجيب إذن أن يصاب هؤلاء الهمج بكل هذا الرعب ، ويخشون الاقتراب من هنا .

قال (أكرم) بلهجته شبه الساخرة :

ــ لا تشفق عليهم كثيرًا يا رقيق المشاعر ، فسيتغلبون بسرعة على خوفهم ، ولن تلبث أن تجدهم حولك هنا .

تلفّت (رمزى) حوله بحركة غريزية ، ثم قال فى حدة :

ــ كم أمقت أسلوبك هذا .

هزّ (أكرم) كتفيه فى لامبالاة ، فى حين قال (نور) :

ــ دعونا من هذا العبث ، فنحن نواجه تحديًا بالغ الخطورة .

قال (أكرم) فى استهتار :

ــ لماذا ؟.. إننا نستطيع اقتحام سفينة الفضاء هذه ، و ...

قاطعه (نور) :

ــ إنهم يقيمون فى القلعة .

عقد (أكرم) حاجبيه فى شك ، فى حين قال (رمزى) فى اهتمام :

ــ فى القلعة ؟!

أجابه (نور) :

ــ نعم .. لو أنك راقبت أبراج القلعة جيّدًا ، للاحظت وجود مدفع ليزر فوق كل برج ، وذلك البريق البرتقالى الخافت ، على بعد ثلاثة أمتار من أسوار القلعة ، يعنى أنها محاطة بجدار من الطاقة الكهرومغنطيسية ، لصدّ أى هجوم برى أو بحرى ، وكل هذا لا يعنى إلا أن هؤلاء القادمين من سجن القمر ، قد انتقلوا للعيش فى قلعة (قايتباى) ، واتخذوا منها حصنًا يقيهم هجمات الآخرين ، أو يكون نقطة انطلاق إلى غزو جديد .

قال (أكرم) فى اهتمام :

ــ ولماذا لا نفترض أنهم طاقم الحراسة السابق ، فى سجن القمر ، وقد عادوا إلى الأرض ، ولكنهم يحيطون أنفسهم بكل هذا ، خوفًا من هؤلاء الهمج ، أكلة لحوم البشر ؟

قال (رمزى) فى سخرية :

ــ ماذا أصابك ؟.. هل انتقلت إليك عدوى التفاؤل ؟

عقد (أكرم) حاجبيه فى غضب، فى حين قال (نور) فى هدوء:

ــ كان يمكن أن أفترض هذا، لولا ذلك الهجوم المشبوه على مخبأ الدكتور (رشاد)، وانتزاعه منه بالقوة، كما رأينا.

سأله (أكرم) فى حدة:

ــ ولكن كيف توصلوا إلى مخبئه ؟

أجابه (نور) فى بساطة:

ــ بنفس الوسيلة التى توصلنا بها نحن إليه.. لقد استقبلوا إشاراته، وتعقبوها إلى مخبئه.

هتف (أكرم):

ــ وماذا يريدون منه؟

أشار إليه (نور) بالصمت، وهو يقول فى حزم:

ــ اخفض صوتك، فربما كانت لديهم أجهزة تصنّت قوية، ونحن لا نرغب فى كشف وجودنا، قبل أن نستعد لمواجهة هؤلاء الأشرار.

قال (أكرم) فى عصبية:

ــ حسنًا، سأطبق شفتى تمامًا، ولكننا لن نبقى هنا إلى الأبد.. ألديك خطة محدودة، أم أننا سنقوم بهجوم عشوائى؟

تجاهل (نور) الأسلوب الاستفزازى فى عبارة (أكرم)، وقال فى (هدوء)، وهو يراقب القلعة بمنظاره الخاص:

ــ لا مجال هنا لأى هجوم عشوائى.. إنك تواجه حصنًا حصينًا، والوسيلة الوحيدة لاقتحام حصن حصين، بأسلحة بسيطة كالتى نحملها، هى أن تكون لدينا خطة محكمة للغاية، لا مجال فيها لثغرة واحدة.

بدأ (أكرم) يناقشه فى الأمر بعصبية، فى حين تراجع (رمزى) عدة خطوات، واستند إلى صخرة قريبة، وعقد ساعديه أمام صدره، ووقف يراقبهما فى صمت..

كان يشعر بإرهاق عنيف، يكاد يفقده وعيه، ولكنه يقاوم ليبقى واقفًا على قدميه، حتى ينتهى هذا الأمر..

وكان أسلوب (أكرم) يرهقه..

يرهقه كثيرًا..

وفجأة شعر (رمزى) بحركة خافتة من خلفه، وتناهى إلى مسامعه صوت سقوط بعض الحصى الصغيرة، وأراد أن يلتفت فى سرعة إلى مصدر الصوت والحركة، ولكن كفًا خشنة ضخمة أحاطت بأنفه وفمه، فى نفس اللحظة التى أحاطت فيها ذراعان قويتان بوسطه وذراعيه..

واتسعت عينا (رمزى) فى رعب، عندما برز أمامه وجه همجى وحشى مخيف، وحاول أن يصرخ مناديًا زميليه، اللذين انهمكا فى نقاش عنيف، دون أن يشعرا به..

ولكن ضربة عنيفة هوت على مؤخرة عنقه، وانتزعت منه آخر خيوط مقاومته..

فسقط..

سقط فاقد الوعى، ولم يشعر بتلك الأيدى القوية، التى حملته، وابتعدت به فى خفة النمور عن المكان..

لقد أصبح صيدًا للهمج..

وطعامًا لهم..

* * *

تألقت عينا (رالف) فى ظفر، وهو يراجع معادلات الدكتور (رشاد)، قبل أن يقول فى انفعال:

— رائع.. نتائج رائعة يا دكتور (رشاد).. أراهنك أننا سنتوصَّل إلى وسيلة إعادة العقول فى سرعة مدهشة.

سأله (رشاد) فى حذر:

— المهم ما الذى تنوى فعله بعدها؟

تألقت عينا (رالف)، وهو يقول:

— لا تقلق نفسك بهذا الأمر.

قال (رشاد) فى عصبية:

— كيف؟.. إننى أشاركك إياه، و...

ارتفع فجأة أزيز قوى فى المكان، فاعتدل (رالف) فى حركة حادة، وأدار عينيه إلى جهاز صغير، ثم اتجه نحوه، وضغط أحد أزراره، وهو يقول:

— هناك من يراقب الحصن.

اضيئت شاشة داكنة، فور ضغطة الزر، وتألق فوقها ظلان بشريان، لهما لون أحمر باهت، فتألقت عينا (رالف) أكثر، وهو يقول:

— انظر.. إنهما رجلان، تدور بينهما مناقشة حادة، رفعت حرارة جسديهما كثيرًا، إلى الحد الذى سمح لأجهزة المراقبة الحرارية بالتقاط صورتهما الحرارية، من هذه المسافة.

شعر الدكتور (رشاد) بالقلق، وهو يتطلع إلى الشاشة، وقال:

— ربما هما مجرد همجيين، أو..

قاطعه (رالف) فى حسم:

— لا.. إنهما متحضران، وإلا فما أمكنهما التحاور على

هذا النحو . ثم إن أحدهما يمسك بندقية ليزرية . والآخر يحمل مسدسًا .

هوى قلب (رشاد) بين قدميه ، وراح ينبض فى قوة ، وأنبأته غريزته أن أحد هذين الظلين هو (نور) ..

أمله الأخير ..

وفى سخرية شرسة ، جلس (رالف) أمام الجهاز ، وهو يقول :

ـــ الآن ياعزيزى الدكتور (رشاد) ، سترى بنفسك تجربة عملية ، للقضاء على المتسللين .. ستشاهد بنفسك مدفع ليزر قويًا ، وهو يحصد هذين الرجلين حصدًا .

وبضغطة زر ، ارتسمت على الشاشة دائرة ، تقاطع فى منتصفها قطران متعامدان ، فوق الظلين تمامًا ، وتألقت عينا (رالف) فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ قل لهما وداعًا .

وانطلقت من حلقه ضحكة شيطانية رهيبة ، قبل أن يضغط الزر ..

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(حصن الأشرار)

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

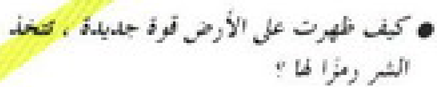
المؤلف



د. نبيل فاروق

رمز القوة





- ما مصير العالم ، بعد انفجار قنبلة (جاما) ؟ ..
- كيف ظهرت على الأرض قوة جديدة ، تتخذ الشر رمزًا لها ؟
- هل ينجح (نور) وفريقه في التصدي للأشرار ، أم يصبح الغزاة الجدد هم (رمز القوة) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه حتى النهاية .

٨١



وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : حصن الأشرار